السنة السادسة عشرة العدد ٨ آب ١٩١٣

المشرق

سياحة

في طور عبدين

لحضرة القس اسحق ارملة استاذ الدروس في دير مار افرام بماردين

كنّا نتشوّق منذ زمن مديد الى زيارة طور عبدين وتفقّد آثاره ومعاهده والوقوف على عاديات كنائسه ومعابده والاطّلاع على حالة اديارهِ وصوامعه وكانت قراءتنا تواريخ ائمّة السريان تزيدنا ارتياحاً الى قضاء المرغوب. واتّفق ان غبطة بطريركنا الجليل مار اغناطيوس افرام الثاني عهد الينا مهنة التعليم في دير الرهبان الافراميّين بماردين فلم يكد يمرّ علينا العام حتى قيّض لنا الله سبحانهُ الفوز ببغيتنا اثناء العطلة السنويّة فقصدنا الجبل المذكور في شهر ايارل ترويحاً للنفس من متاعب الدرس وثقةً باننا نعثر على شيء يستحقّ الذكر ويستوجب استلفات انظار المستشرقين وغيرهم من روّام الاطّلاع على احوال بلادنا. فادركنا والحمد لله شيئاً ولو زهيداً من تلك الآثار شئنا ان نطرف بهِ قرّاء المشرق الاغرّ. وقبل ان نقصّ فذلكة سياحتنا نورد لمحة في تواريخ طور عبدين واحواله

موقع طور عبدين

يشتمل طور عبدين في يومنا سلسلة جبال واقعة شرقي ماردين ويحدّها شرقاً نهر الغورية وقضاء جزيرة ابن عُمَر وغرباً ماردين وما والاها وشمالاً نهر دجلة وجنوباً نصيبين والبريّة. وكان يشمل قديماً جبل الازل وباعربايا وجبل قودس. فجبل

الإزل هو الى الجنوب وجبل قورس الى الشمال وباعربايا تتخلل كليهما . وورد ذكر جبل الازل في مصنَّفات المؤرخين وكتب سير النسَّاك الشرقيين . واول من قصدهُ مار اوجين (+ ٣٦٣) وتلامذتهُ السبعون الذين انتشروا انتشاراً عظيماً وشادوا فيهِ ادبرة فخيمة لبثت في القرون المتوسطة دوراً مهماً يستحقّ الاعتبار . واشتهر فيهِ عدَّة من الكتبة النساطرة واليعاقبة وراجت فيهِ اسواق العمران الروحي والعلمي مدَّة طويلة

جبل الإزل

اشتهر في جبل الإزل رؤساء ادبرة ورهبان افاضل ثم تنلَّب عليهِ النساطرة في القرن السادس . واوَّل رئيس دير نسطوري في جبل الازل كان بابای التحبيني العلَّامة (+٥٦٩) (١ وابوهيم الكبير الكشكري المعروف بالرئيس الاوَّل على جبل الازل وهو الذي حتم على الرهبان النساطرة ان يجزّوا شعر رأسهم على شكل اكليل تمييزاً لهم من الرهبان الساورايين (اليعاقبة) الذين كانوا يجزّون شعر رأسهم كلهِ (٢ ثم يوحنا رئيس دير القارة واورد يشوع دناح مطران البصرة عنهُ في كتاب العفة (ع ٤٦ ص٤٦٩) ان احد امراء الارمن حاول ان ينقل جسده بعد موته الى بلاده اقراراً بفضل حازهُ بواسطته في شفاء ابنته فانكر عليهِ الجليون ذلك فقطع احد هامته جنوده ومضوا بها الى بلادهم . وظلَّ جسده في ديره وشاد الرهبان فوق ضريحه كنيسة فخيمة وسُمّي ذلك الدير دير مار يوحنا الطاني الى يومنا . ومنهم حبيب رئيس دير الازل الذي عاش اثنتين وتسعين سنة ودُفن في دير مار اوجين (٣ . ومنهم رَبّان سفرا الذي تَرهَّب في دير مار اوجين وشاد ديراً فخيماً على بعد مرحلتين منهُ ودُفن فيهِ (٤ واستمرَّت ادبرة جبل الازل في حوزة النساطرة دهراً طويلاً حتى تنلَّب عليها اليعاقبة في اواخر القرن السادس عشر كما ستري في كلامنا على دير مار اوجين ولم يبقَ فيه ذكر لنساطرة بتَّة

---

١) راجع كتاب العفة ليشوع دناح طبع بيجان (عدد ١٧ و٧١ ص ٤٤٧ و ٤٨٤)
٢) راجع كتاب الرؤساء لتوما المرجي (٤ : ١٠ طبع بيجان)
٣) كتاب العفة (ع ٦٩ ص ٤٨٢)
٤) فيهِ (ع ١١٠ ص ٥٠١)

باعربايا

امّا باعربايا فمتوسّطة بين جبل الازل وجبل قوردس. وكان فيها ديرة ومدارس شتى لكلتا الطائفتين النسطوريّة واليعقوبيّة. وذكر صاحب كتاب العنة (ع ٢٥ ص ١٩٤) عن مار آبا مشيّد دير بطورا ان اصلهُ من باعربايا من قريةٍ حُردفته ولعلّها دفنة الواقعة شرقي حصن كيفا وسيأتي ذكرها . وكان آبا وطنيًّا لبكيروتا الذي شاد دير شموتا في جبل فردون بين بازبدي وباعربايا (١ وروي يشوع دناح ايضاً في كتابه (عدد ٤٧) ان يشوع زخا النسطوري شاد ديرًا فخيماً في باعربايا ونصب فيه معلّمين واقام فيه مدارس وذكر (عدد ١٠٣ ص ٤٩٧) اسم قرياقس اسقف بَلَد (٢ وقال انهُ توجّه الى بلاد باعربايا فوشّحهُ الرَّبّان باعوث بالاسكيم الرهباني . وظلّت باعربايا ابرشيّة نسطوريّة الى عهد يشوع الصوباري (+ ١٣١٨) (٣

امّا السريان اليعاقبة فخصّوا باعربايا بابرشيّة المفريان وجعلوها الاولى لاعتبارها كما يستفاد من قوانين المجمع الذي عُقد في عهد ماروثا التكريتي مفريانهم (+ ٦٤٩) اذ ورد فيها ما تعريبهُ (٤: ٥ رتّب آباء المجمع اثنتي عشرة ابرشيّة تحت رئاسة مفريان تكريت اوّلها باعربايا ». امّا اليوم فقد خُصّ اسم باعربايا بقرية صغيرة في طور عبدين بين كربوران ودير الصليب

جبل قوردس

اما جبل قوردس فموقعهُ شمال جبل الازل وباعربايا يشغل قرى الصور وقلّث والاحمدي والرومانية وغيرها يستوطنهُ قوم من اكراد المحلّميّة واليعاقبة وهو اخصب الجهتين واغناهما موصوف بطيب هوائه وغزارة مياهه وكثرة غلّاته واهلهُ عائشون في السعة بخلاف اهل طور عبدين

---

١) كتاب العنة (٥١ : ٤٧٤)

٢) بَلَد مدينة في الجزيرة على شاطئ دجلة تابعة لولاية الموصل وهي مسقط رأس اثناسيوس الثاني (+ ٦٨٨) بطريرك اليعاقبة

٣) روبنس دوڤال (Duval: *La Littérature syriaque*, p. 402)

٤) اطلب المكتبة الشرقية للسمعاني (٢ : ٤١٩)

ابرشية طور عبدين

كان طور عبدين قبل عهد الانفصال من اليعة الرومانيَّة كرسيًّا استقفيًّا خاضعاً لمطرانيَّة دارا (١ على ما جاء في كتب السلف. فانهُ كان للبطريركيَّة الانطاكيَّة اثنتا عشرة مطرانيَّة لكل منها عدَّة اسقفيَّات. فكانت المطرانيَّة الثانية عشرة دارا ولها ثلاث اسقفيَّات وهي جبل سمسون وطور عبدين وباتسمون (٢ لكنَّ هذا النظام الجليل تبلبل ودارت عليهِ الدوائر في القرون المتوسطة خاصَّةً فأفرز طور عبدين اوَّلًا بابرشيَّة المقريان كما نوَّهنا اعلاه في كلامنا على باعربايا ثم جُعل كرسيًّا مطرانيًّا ثم كرسيًّا بطريركيًّا للسريان اليعاقبة كما سترى في كلامنا عن مذيات

ادبرة طور عبدين

من تصفُّح تواريخ ائمَّة السريان والنساطرة واليعاقبة اخذه العجب والانذهال من انتشار الايمان المسيحي في طور عبدين الذي ازدان بالاديرة الكثيرة الكبيرة منذ القرن الرابع. واوَّل من نظَّمَ في السيرة النسكيَّة في هذه البلاد الشرقيَّة كان القديس يعقوب افراهاط الحكيم الفارسي فانهُ ذكر في كتابه البراهين في المقالة السادسة التي صنَّفها سنة ٣٣٧ اقرانهُ الرهبان واورد في المقالة السابعة ما شرحهُ: «كتبتُ اليك في ذلك كلَّه ايها الحبيب. لانَّ في عصرنا قوماً ضحوا بحياتهم للمعيشة النسكيَّة وهجروا الدنيا وانقطعوا للنسك والزهد وغدوا قديسين (٣ ». وكتب ايضاً القديس ماروثا مطران ميافرقين سنة ٤٢١ اسماء جملة من النسَّاك والرهبان الذين استشهدوا في عهد شابور الثاني ملك الفرس (٣٠٩–٣٧٩ م)

بيد ان الامام الذي برَّز في الرهبانيَّة الشرقيَّة هو اوجين المعروف بآبون (أحم) المتوفى سنة ٣٦٣ غادر مصر بعد ان تتلمذ للقديس انطونيوس ابي الرهبان في سبعين تلميذًا حتى وصارا جبل الإزل وقضوا ثلاثين سنة في مغاور

---

١) وقد رمَّم دارا ملك الروم انسطاس فدُعيت باسمهِ انسطاسيوبوليس (Ἀναστασιόπολις)

٢) عن نسخة سطرنجيلية قديمة تخصُّ دير الزعفران

٣) الطف مباحثهُ (Patrologia Syriaca, *Aphrantes*, p. 355)

وكهوف وصوامع ضئيلة فلما بلغوا الثلاثمائة والخمسين جعلوا يطوفون ويشيّدون الاديرة. وللقارئ ان يعرف عددها ووصفها اذا راجع خاصةً كتاب العفّة وغيرهُ من كتب سير النسّاك. وذلك ما دعا الاهلين الى ان يطلقوا على جبل الازل اسم طور عبدين (لهوْ حصّم) اعني جبل عبيد الله. ولم يكتفِ هؤلاء التلامذة للباركون بانشاء الاديرة في هذا الجبل بل وصل منهم نفر صالح الى الموصل والعراق وبلاد الفرس. على ان شابور لمّا اعجبتهُ خصالهم الحميدة وخلالهم الفريدة واندهل من العجائب الجمّة التي كان الله يجريها على يدهم أطلق لهم الحريّة التامّة في مملكته فذهبوا اثنين اثنين حسب مشورة رئيسهم القدّيس وبشّروا بالايمان المسيحي وصنع الرب على يدهم خيراً كبيراً. وشادوا في كل مكان يسّوه اديرة وكنائس ومعابد ومدارس ولم يضنّوا باجود ما عندهم في سبيل خدمة إلههم حتى تأرّج عبير اخبارهم في الدنيا ونالوا الغاية القصوى

امّا اليوم فينكمش الفؤاد غمّاً وحسرةً لدى مشاهدتهِ آثار تلك الاديار الدوارس وما صارت اليهِ من الانحطاط والذلّة بل العدم. ولا مريةَ انّ من عمي مذهبهُ فقد مشربهُ. وقد ذكر يوحنّا مطران ماردين اليعقوبي (+١١٦٦) ما تعريبهُ: «لم يبقَ في عهده اعني يوحنّا المذكور في الشرق اعني في طور عبدين ولا في ابرشيّة ماردين راهبٌ واحد ولم يعد يعرف احد كيف يكون الرهبان. فهو نشط لتجديد الاديرة وتعميرها وحثّ القوم على الانقطاع اليها. فشاد اديرة شتى في طور عبدين وفي ماردين (١» اذ كانت قد تصدّعت منذ مائتين او ثلاثمائة سنة (٢

كنائس طور عبدين

وما عدا الاديرة الكثيرة العظيمة ففي طور عبدين كنائس جميلة واسعة تباري افخر الكنائس وافخمها. وكانت على طرز كنائس القرن الخامس والسادس في بنيانها وضخامة جدرانها اذ كانت معقلاً حصيناً وملاذاً امناً للاهالي يتحصّنون فيها من غارات الاعداء. ومما يتحرّق لهُ الفؤاد اسفاً وحسرةً ان اغلبها قد عفت رسومها

١) راجع المكتبة الشرقية للسمعاني (٣: ٢٢٠)
٢) المكتبة الشرقية (٣: ٢٢٨)

وأمحقت آثارها ولم يبقَ منها سوى حجارتها الضخمة . كل ذلك لمنازعات قوميَّة ومدنيَّة ثارت بين الجيليين والأكراد فشغلتهم عن الاكتراث لامور دينهم ولبَّدت في قلوبهم ظلمات جهل حالكة حتى غدوا في القرون الاخيرة قوماً لا يعرفون من الدين الَّا ظواهره وعجزوا عن الاعتناء بالتهذيب والتعليم الروحي والزمني . فيا سبحان الله ما افظع الجهل والاستبداد وما اشنع المروق من الدين القويم

وقائع طور عبدين

طرأت على طور عبدين طوارئ شتى وطمست معظم آثاره وبدِّدت كتبهُ وعتائقه وافقدتهُ بهاءهُ ورونقهُ . فكان الفرس تارةً وطوراً الروم يغزونهُ ويدوِّخونهُ حتى ظهر الاسلام فملكوه . ثم تغلَّب بنو حمدان العرب التغلبيون وكان جدّهم حمدان ابن حمدون التغلبيّ الرَّبعي فسادوا بلاد الجزيرة سنة ٨٦٨ . وفي عام ٨٧٢ اوقع مسرور البلخي بالاكراد اليعقوبيَّة سكان طور عبدين وما والاه فهزمهم . ثم أُجبروا على اتباع الاكراد في اللغة والمذهب . وذلك أنهُ في عهد الخليفة المأمون (٨١٣–٨٣٣) لمَّا ظهر الاكراد في كردستان وفي مقدمتهم المهدي المعروف بالمقنَّع لوضعهِ برقعاً على وجهه هذا كان يدَّعي النبوَّة فسار هو واصحابه الى بازبدى وطور عبدين وتغلَّبوا عليها ونهبوا الاديار والكنائس . فسيَّر المأمون الامير حسناً في جيش فقهرهم وهزمهم من دير قرتمين . ولمَّا ان قُتل المهدي صاحبهم اقاموا بدله هرون ففتك بهِ جند الخليفة فسيَّروا بدله بابك ومنهُ تسلسل الاكراد (١ وهم قسمان قسم يعرف بالرياج يسكنون القرى وقسم يُعرف بالسياه يقطنون الخيم . وكلهم دانوا بالاسلام على مذهب عليّ (٢

وذكر ابن الاثير (١٤:٩) في حوادث سنة ٣٧٤ هـ (٩٨٣ م) ان باذا المرواني واسمهُ ابو عبد الله الحسين بن دوستك الكرديّ لمَّا قوي امره واشتدَّت شوكته خافهُ عضد الدولة صاحب الموصل فحضر عنده . ولكنهُ لمَّا رأى ما هو عليهِ

---

١) راجع تاريخ المورِّخ الرهاوي السرياني الذي طبعهُ غبطة السيد اغناطيوس افرام الرحماني في الشرفة (ف ٢١٤ ص ٢٢٩) وتاريخ ابن العبريّ طبع الاب بيجان (ص ١٤٤)

٢) شرح مجاني الادب (ص ١٢١)

من البأس والشدّة انهزم منهُ . فاستنجد امر باذ وملك ميافرقين وكثيرًا من ديار بكر ووصل بعض اصحابه الى نصيبين فاستولوا عليها . ثم راسل باذ زيادًا اكبر قوّاد صمصام الدولة في التصلح فاستقرّ الحال بينهم على ان تكون ديار بكر والنصف من طور عبدين لباذ . وما عتم ان تجدّد لباذ الطمع في هذه البلاد فاستولى على طور عبدين كله سنة ٩٨٧ وظلّ بالجبل

ولم يكتف باذ الكرديّ بطور عبدين بل جمع سنة ٩٩٠ الاكراد البشنويّة وقصد الموصل لمحاربة بني حمدان التغلبيين فتناوشوا القتال . ولمّا اراد باذ الانتقال من فرس الى آخر سقط واندقّت ترقوتهُ فأتاهُ ابن اختهِ عليّ بن مروان واراده على الركوب فلم يقدر فتركوهُ وانصرفوا الى الجبل واحتموا به . ثم قُتل باذ قتلهُ بعض العرب وحملوا راسهُ الى بني حمدان (١

امّا بنو مروان الاكراد فملكوا هذه البلاد الى سنة ١٠٩٥ وفيها توفي منصور ابن نظام الدين بن ناصر الدولة آخر بني مروان ومدّتهم مائة وخمس سنين . ومات منصور في بيت رجل يهوديّ فحملتهُ زوجتهُ الى تربة ابائهِ . ثم حجّت وعادت الى بلد البشنويّة فابتاعت ديرًا من بلد فنك بقرب جزيرة ابن عمر واقامت فيه تعبد الله (٢

وقام بعد بني مروان الملوك الارتقيّون (١٠٩٥—١٤٢١) وملكوا هذه النواحي وكانت ماردين كرسيّ ملكهم . وسنة ١٢٣٢ زحف التتر الى طور عبدين وفتكوا برهبانه وسبوا ونهبوا وقتلوا خلقًا كثيرًا (٣

ثم ظهر تيمورلنك سنة ١٣٣٦ وسار سنة ١٤٠٠ الى دنيسر وماردين وطور عبدين وقوّض ابنية شتى من كنائسهِ واديرتهِ وهدم رسومهُ وآثارهُ وكان لا يدخل قرية الّا افسدها وعاث بها . وتوفي تيمورلنك سنة ١٤٠٥ وخلفهُ ابنهُ شاه رخ — وكانت المنازعات متواصلة في طور عبدين والقتالات متتابعة . وهي التي جرّتهم الى الانحطاط وثلّت دعائم دينهم وهبطت بهم الى قعر الجهل والذلّ الى يومنا هذا

---

١) ابن الاثير (طبعة بولاق ٩ : ٣٦)
٢) ابن الاثير (١٠ : ١٠٦)
٣) تاريخ الزماويّ (ع ٥٢٤ ص ٢١٣)

ديانة طور عبدين

كانت النصرانيَّة شائعة في طور عبدين ثم تغلَّبت النسطوريَّة واليعقوبيَّة ثم دان اغلبهم بالاسلام ولستمرّ منهم قسم صالح حافظ على الاعتقاد بالمذهب اليعقوبيّ الزاعم بالطبيعة الواحدة في المسيح. وجاء في تواريخ السريان اليعاقبة انه في عهد البطريرك اسمعيل (+١٣٦٦) جحد نفر كبير من يعاقبة طور عبدين الايمان المسيحيّ ودانوا بالاسلام وعُرفوا بالمحلّميَّة وتبعهم قوم من قرى ماردين كرشل وقباله ومصرتا وغيرها. كلّ ذلك لمّا تصرّف البطريرك المذكور لانهُ في عهده ادركت طور عبدين مجاعة شديدة اجبرتهم على نقض الصوم فاوفدوا قوماً اليه يستمنحونهُ الاذن في ذلك فأبى فألحّوا في الطلب فلم يكترث لهم فأيسوا من خلاص نفسهم واتفقوا على هجر المذهب اليعقوبيّ والتدين بالاسلام

وأضيف الى ذلك ان المذهب البروتستني دُسَّ فيما بينهم في القرن السابق ولا سيما في مذيات حاضرة طور عبدين. امَّا السريان الكاثوليك فمنذ اواسط القرن التاسع عشر افرغوا الوسع في اعادة اليعاقبة الى حضن البيعة الجامعة وفتحوا الرسالات في مذيات وباتّه وكربوران وباقسيان وقلث وحاح. والأمل معقود ان اولئك القوم يعودون الى ايمان آبائهم وأجدادهم فتتجدّد رسومهم الدائرة وطقوسهم الدارسة ومبادئهم الطامسة

لغات طور عبدين وسكانه

امَّا اللغة الشائعة في طور عبدين فهي السريانيَّة مكسَّرةً امتزجت فيها كلمات كرديَّة وعربيَّة. والبعض لا يتكلَّمون الَّا بالكرديَّة فقط وفي مذيات يتكلمون بالعربيَّة والسريانيَّة والكرديَّة. والكرديَّة اعمّ من كلتا اللغتين. وقد صنَّف الاب باريزو (Dom Parisot) وغيره كتباً في لهجة طور عبدين وخواصها (١

وليس في طور عبدين صناعة مشهورة يحتاون منها كفافهم فان قلَّة حركتهم باعثٌ قويّ الى اشتداد فاقتهم. واغلبهم يتعيَّشون من ارزاق الاديرة والكنائس. ومنهم قوم دأبهم الفلاحة وحرث الاراضي وغرث الكروم. وفي بعض القرى نفرٌ

---

١) راجع المشرق (١٥: ٧١٠)

يشتغلون بالحياكة ونسج الأعبية وغيرها وقوم يشتغلون بالفخار والسكاكين وما شاكلها

عوائد آل طور عبدين

ان لكلّ قرية تقريباً شيخاً يراجعونه ويسمّونهُ مختاراً او كهيا . ولكلّ قضاء آغا . ففي كفرجوزة مثلاً آغا لهُ الحكم على خمس او ست قرى . وغيره في عرنس وغيره في مزيزخ . وللمتحلّمية اميرٌ يقطن في كفرحوّار . وغيره في حَبْسَنيه في حوزته نحو خمس عشرة قرية . وغيره في آصر ولهُ خمس او ستّ قرى وقس عليه سائر القرى

وعند ما يولد الولد يعتمدونهُ بعد ثمانية ايام او اقلّ وفي ذلك يخالفون طقس اجدادهم الذين كانوا قضوا بالمعاد في عيد الدنح وسبت النور فقط

امّا الزواج في طور عبدين فعند النصارى يتزوّج الشابّ في عمر العشرين بنيّف والفتاة في السنّ العاشرة الى السابعة عشر وفي بعض القرى يتزوج الشاب بابنةٍ اكبر منهُ سنًّا . والمتحلّمية في ذلك يقتدون بالنصارى . واغلبهم يحتفلون اعراسهم مدّة ثلاثة ايّام والآغرات سبعة ايّام . وفي بعض القرى يحمل الاهلون الهدايا من المآكل الى ذوي العرس . وقبل العرس ببضعة ايّام ينصبون على سطح دار العريس رايةً يعلوها منديل ماوّن الشكل دلالة على العرس . ولمّا يحضر القسّ ليكلّل العريسين ينصرف الحضور كلُّهم ويُغلق الباب ولا يبقى الّا الكاهن والعريسان والقريبان اعني العرّابين وفي يد احدهما سيف او خنجر مسلول . ويقيمون مراقباً على سطح الدار يعدّ الناس عن الدخول ريثما تنتهي بركة الاكليل

واذا مات احدهم كائناً من كان يغسلون جسمهُ بماء حارّ وصابون ويكفنونه ويحملونه الى الكنيسة بالبكا . والعويل فيجتزّهُ الكاهن ويدفنونه . والشاب عند موته يطلقون البنادق تفجُّعاً عليه . ويقام للميت مناحة ثلاثة ايام متتالية يجلسون في غضونها الى أهله اصناف المآكل . واذا سار الاهالي من قرية الى اخرى ليعزّوا آل الفقيد قصدوا ضريحه اوّلاً واطلقوا فوقهُ العيارات ثم اقبلوا الى دار الميت ليعزّوا آلهُ . وقلّما يتصدّقون بحسنات قداديس على ارواح موتاهم والحسنة لا تتجاوز الغرش او الغرشين .

وفي صومهم يتبعون طقس البيعة السريانيَّة اليعقوبيَّة ولهُ مزيد الاعتبار عندهم فانهم يفضلون احياناً سفك دم القريب على مخالفته

واساقفة طور عبدين وكهنتهُ ورهبانه يجولون البيوت والمزارع يجمعون البواكير ويستونها الزدق (اوصل) لقوتهم وغذائهم . ويتلون صلوات سريانيَّة استغاثة بالعذراء مريم كي تبارك زروعهم وغلاتهم

ومن عوائدهم المقيتة القَسَم بالباطل باسم الله وقدّيسيه فانه فاشٍ بينهم فشوًّا فاحشاً وهي عادة جاروا فيها المسلمين

ويحافظون على البطالة ايام الآحاد ولكنهم يشتغلون اغلب الاعياد ولا سيما في الصيف . والرجال منهم يحضرون القدّاس ايام الآحاد امَّا النساء فالعجائز فقط . ومن عوائدهم السيئة التكلُّم بافراط والصياح والجلبة في الكنائس . وسرّ الاعتراف عندهم لا اعتبار لهُ وقلَّ من يعترف مرَّة في العام . وفي بعض الاحايين يتلو الكاهن صورة الحلّ على نفرٍ منهم سريّاً . اما تناول القربان المقدس فغير شائع عندهم واذا تناول احدهم خرج حالاً من البيعة دون شكر اذ يجهلون الصلوات حتى الصلاة الربيَّة والسلام الملاكي وقانون الايمان لقلَّة المدارس او اذا شئت فقل لعدمها . فهم مقترون باهداب الطقسيَّات وشواعرها لا يفقهون شيئاً من مكنونها ومضمونها . وقلَّما يعتني كهنتهم السذَّج بالوعظ والنصح والحثّ على الفضائل المسيحيَّة . ولا ريب انهم اذا استمرُّوا هكذا ضلّوا سبيل الصواب وآل امرهم الى البوار والخراب رفشا فيهم الجهل والغلظة واشتدت طباعهم فظاظة وخشونة . اعاذنا الله من ذلك

وها اننا في سياق كلامنا نورد شيئاً مما ألمعنا اليه في هذه المقدّمة وعلى الله الاتكال في كلّ الاحوال

أ سفرنا من ماردين الى الصور

غادرنا ماردين على بركة الله في ١١ ايلول ١٩١٢ يصحبنا شقيقنا القدسي يوسف ومررنا بغياض زاهية ورياض أنيقة ولما ان وصلنا الى خشخوكه حيث المياه الصافية جلسنا للاستريح وأجلنا النظر في وادي بيت قديش (هومصل) امامنا ورأينا بساتين ماردين الشهيرة كباسانس والرّمّان ووادي شبا الذي وصفهُ صفيّ الدين الحليّ التنبي (١٢٨٧—١٣٤٠) في عهد الملك الصالح الارتقيّ بقوله :

ان كان بالجوسق النعمانُ ناء فكم من جوسق لك بالشعبين معمورِ
لو مرَّ عادُ بن شدّادٍ بجنته لقام يقرعُ فيها سنَّ مغرورِ

ولمحنا ايضاً شمالي قلعة ماردين ووادي الصفا الذي ذكره صفيّ الدين ايضاً قائلًا :

عجنا على وادي الصفا فصفا عيشي وولّى الهمُّ مرتحلا
ولنا جا والشمسُ في اسدٍ قيظاً فخلنا برجها الحملا

والتفتنا الى يميننا فشاهدنا جنّات قبالة وتهراسي وبنابيل وباقرقوه وبحر الطور ورشمل وهي على ما كانت عليه من الرونق والبهاء في عهد صفيّ الدين القائل :

من نفخة الصور ام من نفحة الصورِ احييتِ يا ريحُ ميتاً غيرَ مقبورِ
ام روض رِشْمَلَ اعدى عطر نفحتهِ طيَّ النسيم بنشرٍ فيه منشورِ
وقائلٍ اذ رأى الجنات عاليةً والحورَ مقصورة بين المقاصيرِ
لمن ترى الملك يبد الله قلت لهُ مقالَ منبسط الآمالِ مسرورِ (١ . . .

ولا جرم ان ماردين كانت تحاكي اخصب البلاد وابدعها في عهد ملوكها الارتقيين وهذا ما حمل صفيّ الدين ان يضارعها بدمشق الشام بل يفضّلها عليها بقوله :

يا مَن يقايس ماردينَ بجلّقٍ بَعْدَ القياس وابن منها جلّقُ
لم تُذكر الشهباء في سبقِ العُلى الّا كَبَت شقراؤها والأبلقُ
كم ماردين لماردينَ ترائبوا ومن المحالِ طلّابُ ما لا يُلحقُ

واراد صفيّ الدين بالشهباء قلعة ماردين لا مدينة حلب وقد ذكرها بهذا الاسم في ديوانه مراراً فمن ذلك قوله :

ولا تُقِم بالموصل الحدباء انَّ شهاب القلعة الشهباء
يحرق شيطان صروف الدهرِ

وقد صرّح صفيّ الدين بجودة مشاخ ماردين وطيب هوائها وعذوبة مائها وآنس من نفسه ميلًا شديداً الى البقاء فيها وخيّرها على الحلّة وطنة وعلى غيرها من البلاد الكثيرة التي شاهدها فقال :

جُبْتُ البلاد ولستُ منخذا بها سكناً ولم ارضَ الثريا مسكناً

١) يريد الملك الصالح صاحب ماردين ١٣١١ — ١٣٦٢

حتى انتهتُ بماردين مطيتي فهناك قال لي الزمان: لك الهنا (١

(بافاوا) ثم أستأنفنا المسير الى قرية بافاوا فيها البساتين والمياه الغزيرة يشربها نفرٌ من اليعاقبة لهم كنيسة حقيرة. ولم نرَ فيها شيئاً من الآثار فغادرناها الى مركه وعقبة الميزان حيث كان قطّاع الطريق يتعرّضون للسابلة ويسلبونهم امتعتهم. وعند عصر النهار يممنا بلدة الصور

(الصور) كانت الصور مدينة حافلة بالنصارى وجاء في سيرة جبرائيل رئيس دير قرقين ذكر يعقوب مطرانها الذي حضر دفنهُ جبرائيل عام ٦٦٨ وقبله اشتهر قرفوس اسقفها الشهيد الذي ورد ذكره في كلندار الرُّبان صليبا للاب ب. بتوس اليسوعيّ البولندي (سنة ١٩٠٨ ص ١٦٩) في اليوم الثالث من كانون الاوّل. وكان يوحنا بن شيله الماردينيّ اسقفها (١٤٧١–١٤٨٤) فارتسم بطريركاً لليعاقبة باسم يوحنا الثامن عشر. وخلفه في الاسقفيّة سويريا يشوع ابن القس يوحنا القلثيّ الذي سيم بطريركاً ايضاً سنة ١٥٠٩ بعد وفاة نوح البقوفاوي (٢ وفي عهد بطريركيّة بطرس الرابع (١٥٧٦ – ١٥٩١) شقيق البطريرك نعمه كان اخوه مينا اسقفاً على الصور واعتنق الايمان الكاثوليكيّ المقدّس ثم هجره وعاد الى المذهب اليعقوبيّ

غير ان اغلب اهالي الصور وما جاورها كانوا منذ القرن الرابع عشر قد دانوا بالاسلام في عهد اسمعيل البطريرك (+١٣٦٦) للسبب الذي ذكرناه في التوطئة وفي يومنا ليس بينهم غير مسلمين يسودهم بيكوات وفيها قائمقام ايضاً ونفر من النصارى يقصدونها للتجارة. وتكثر في الصور اشجار الحور والزروع على اختلاف اشكالها وفيها نهر جار ينبجس من نواحي قلث ويسقي اراضيها

ويعلو البلد قلعة حصينة تطلُّ عليه وعلى جهات قلث والاحمدي وفيها اشجار لوز وغيره وآبار وآثار دور يحيطها سور محكم. قيل انَّ القلعة كانت تتوسط البلد. وتجاه البلد تلّ عالٍ فيه آثار دير كان يُعرف بدير مار يوحنا

وفي البلدة جامع كان يُعرف بجامع قرفوس الشهيد المذكور سابقاً لكن بابه حديث البناء. وقد شيد سنة ١١٩٥ هـ (١٧٨٠ م) ورقينا الى منارته بستٍ وثلاثين

١) راجع بحاني الادب (١ : ١٣٤)

٢) راجع الزهرة الزكيّة في البطريركيّة الانطاكيّة (ص ٨٠ و٨٢)

درجة تعلوها قبة ذات نقوش لطيفة . وتمهّدنا في الصور بيعة امّ السبعة لأنها كانت على اسم الشهيدة شموني واولادها السبعة . امّا اليوم فقد أُحيلت الى جامع وهي مبنيّة بحجارة ضخمة لها ثلاثة اسواق في وسطها قبور للمسلمين وفيها تابوت مجلّل بالاقمشة يحجّ اليه المسلمون

٣ من الصور الى قلّث

ولمّا ابتلج صباح ١٢ ايلول سرنا في برّية خصيبة الى قرية (الاحمدي) واهلها كلّهم مسلمون وفيها كنيسة شادها يوحنا مطران ماردين (+١١٦٦) ولم يسمح لنا الاهالي ان ندخلها : فقصدنا (قالوق) وفيها آثار كنيسة كان يوحنا المذكور قد شادها ايضاً (١ وانتهينا الى (الرومانيّة) فشاهدنا فيها كنيسة كبيرة صبرت على نوائب الزمان وبالقرب منها حجارة كثيرة تشير الى القرية التي كانت الى جانب الكنيسة وفي يومنا لا يوجد فيها من ينفخ نارًا . امّا الكنيسة فهي ذات ثلاثة اسواق ولجنا بابها الجنوبيّ فلمحنا بابين كبيرين فوق احدهما حجرة ضخمة مرسوم فيها الصليب المقدّس وحجرة الباب الثاني مشوّهة . ثم دخلنا سوقها الثالث وفيه اربعة اروقة بسدّ وفي الجهة الشرقيّة رواقان مفصولان بسدّ وفي السدّ باب يتصل بالمذبح يعلوه ثلاث كوّات الى الشرق حسب الطقس البيعيّ . وطول الكنيسة ثلاثون ذراعاً في عرض عشر اذرع تقريباً . وبعد ذلك عدنا من الرومانيّة الى قلّث والنهر على شمالنا فوافيناها عصر النهار وحللنا في كنيستنا السريانيّة التي شادها السيد يعقوب متى احمر دقنه سنة ١٨٨١ واستضفنا حضرة القسّ بولس هيو تلميذ الخوري افرام رئيس ديرنا

(قلّث) كانت قلّث حصناً منيعاً وكان فيها اسقف خاضع لبطريرك ماردين وفي عهد يوحنا الحادي عشر (١٠٤٢—١٠٥٧) خصّت بكرسي الفريان (٢ وسنة ١٧٨٢ تألّب في قلّث يعاقبة طور عبدين واقاموا لهم بطريركاً في بيعة مار يوحنا رجلاً يقال له متى الثعلب فبعد رسامته انقلب راجعاً الى ماردين وناصب البطريرك الشرعي مار

---

١) المكتبة الشرقيّة (٢ : ٢١٧) ومجلّة المشرق (١٢ : ٦٧١) حيث وردت اخبار ابليا ابن الكنزير

٢) تاج الزهرة الزكيّة (ص ٥٣)

اغناطيوس ميخائيل جروه وسجنهُ اربعين يوماً ثم فرَّ الى الموصل (١ وتوفي ميتي سنة ١٨١٧

وشرقي قلت دير فخيم على اسم القديس آباي تلميذ مار اوجين وكان جافلاً بالرهبان حتى ان السريان يذكرون في كالندارهم في ٢٠ ايلول « عيد الفرحين القديسين بدير قلت مجبل قورس » وفي غرة شباط يعيدون « لاسطينا اعني بيضاء ام القديس آباي » ( ) (١

ومن بقايا دير مار آباي التي لم تطمس يطلع الراغب على عظم شأنه وضخامة بنائه وحسن موقعه وسعته. فانَّ طولهُ تسعون ذراعاً في عرض ستين وقد تقوَّض كله ويشاهد على بابهِ الغربي حجر مكسور على شطرين منكَّس يشتمل احدهما على ثمانية عشر سطراً والثاني على اثني عشر سطراً بالحرف السطرنجيلي ترأنا فيه اسم داود ولعلَّهُ البطريرك داود (١٥١٩—١٥٢١) ورأينا حجراً ثانياً على الباب الجنوبي رقم فيهِ بالسطرنجيلية :

. . .	ديونيس ابن . . .
	كل من يقرأ فليصل على كلّ
. . .	من اشترك . . .

رأينا امام الدير الى جهة الجنوب حوضاً ناشفاً كانت تنحدر اليهِ المياه من صومعة ثاودوطا. ودوَّن ابن العبري في تاريخهِ السرياني المدني (ص ٣٢١) ان نجم الدين سلطان ماردين (١١٣٥—١١٧٦) لما ابتُلي بالمرض ظهر لهُ مار آباي في الحلم واوصاه بالرفق والاحسان الى النصارى. فانقلب نجم الدين عمَّا كان عليهِ من الخشونة والعسف وتودَّد الى النصارى وجعل يهتم بصيانة بيعهم ويسعى في تشييد كنائسهم وترميم اديرتهم . وكان يجول في الاديرة انتجاعاً للصحَّة ونال الشفاء بصلوات مار آباي. ولعلَّهُ بعد شفائهِ رمَّم دير مار آباي اقراراً بفضلهِ

ثم اننا تمهَّدنا داخل بيعة الدير فصادفنا في جهتها الشرقيَّة غرفة مربَّعة فيها مذبح

---

١) الزهرة الزكيَّة (ص ٩٧)

٢) كتندار الربَّان صليبا للاب بنوس اليسوعي (BHO, 174, 195)

صغير ورواق ظريف . وفي الناحية الجنوبيّة حجران كبيران في كلّ منهما صورة سبع فاتنة وفي الجهة الشرقيّة الشماليّة غرفة فيها سرب لم نعثر فيهـا على شيءٍ من الكتابات قيل انها كانت قديماً متعبّدةً للرهبان

وشمالي دير مار آباي صومعة مار ثاودوطا فيها سربٌ ايضاً وستّ مغاور وفيها ماء جار . وشرقي شمالي قلّت دير صغير لمار ديمط يتبعهُ على مسافة ربع ساعة ديرٌ آخر لمار شاباي (١ داخلهُ مغارة فيها ماء

واعلم ان الاديرة المذكورة آنفاً كانت قد تصدَّعت على عهد يوحنـا مطران ماردين فاهتمَّ بتجديدها في جملة الاديرة والكنائس الكثيرة التي شيَّدها ورمَّمها واليك ما تعريبه نقلاً عن العلّامة السمعاني (٢ : « تجدَّدت هذه الاديرة في ابرشيتي . وهي دير مار آباي ودير مار ثاودوطا القدّيسين الجليلين الشهيرين صـاحبي العجائب » . . . وقال ايضاً (٣ : « ووقف المطران يوحنا لدير مـار آباي الشهيد رحوين . ويسمى هذا الدير دير قلت موقعهُ بشرقي الصور »

امّا دير مار ديمط فهو مبنيّ على اسم ديمط الفارسي ولهُ في قورس عيد في ٢٤ ايلول (٤

ثم زرنا كنيسة قلّت الكبرى التي استوفى وصفها الاب لويس شيخو اليسوعي في المشرق (١٥ : ٨٠٨) وأيد أنّهـا من كنائس القرن الخامس او السادس وهي كسرب ينزل اليها في قلب الارض ولها ثلاث اسواق تسندها السواري وتزيّنها بعض التصاوير المطموسة . وهي مسقفة بالاجرّ الاحمر وفيها عواميد ملتصقة بالجدران وتحت رواق المذبح الى الناحية الشماليّة رأينا هذه الكتابة فسرَّرناها بالقلم اذ لم يتيسَّر لنا ان ناخذ رسمها ولم يُقرأ منها الّا لفظتها الاخيرة بمعنى « سيّدي »

CSϢNHKVPIE (٥

وفي شمالي الكنيسة مزار يزعم الاهلون ان فيهِ ضريح سمعان القناني احد الرسل

١) كان شاباي احد تلامذة مار اوجين : بيجان سير القديسين (٣ : ٤٧٣)

٢) راجع المكتبة الشرقية (٢ : ٢٢١) ٣) فيها (٢ : ٢٢٧)

٤) راجع سير القديسين ليجـان (٦ : ٥٢٦ و٥٤٢) وكتاب الاب بترس البولندي اليسوعي (BHO, p. 196)

الاثني عشر وفي كتبهم الفرضيَّة السريانيَّة ابيات شتى تذكر سمعان القنانيّ يوم عيده في ١٠ ايار وتروي عنهُ انهُ اتى الى جبل قردس وانفذ بالايمان المسيحيّ فيهِ

امَّا الكنيسة فهي مشيَّدة على اسم مار يوحنا الديلميّ (١ تلميذ اوجين رئيس النسَّاك (بيجان سير القديسين ٣ : ١٧٣) قصد مار ارجين من الموصل واتَّشح بالاسكيم الرهبانيّ ولمَّا تفرَّق تلامذتهُ في البلاد ليبشروا بالانجيل مار يوحنا الى بلاد الديلم في فارس ونصَّرهم. وقد وردت سيرة اعماله في الفهرس العربيّ من مخطوطات مكتبة باريس (Bibl. Nat. n° 281). وورد في كتاب العفَّة ليشوع دناح مطران البصرة (عدد ١٧ و ص ٥٠٤) من طبع الاب بيجان ان يوحنا الديلميّ شاد ديرًا في جبل فارس قرب ارَّجان. وان سقط رأسهُ هي الحديثة لا الموصل وانهُ سُبي الى بلاد الديلم وانهُ شاد ديرين ولما توفي دُفن في دير السريان

وفي هذه الكنيسة بعض المخطوطات السطرنجليَّة والسريانيَّة منها انجيل حسب الترجمة الحرقليَّة مكتوب على ورق والفصل الاخير منهُ وهو الجادي والعشرين من انجيل يوحنا مكتوب بحروف ذهبيَّة وماونَّة. كأنَّ الكاتب فعل ذلك اعتبارًا لرئاسة بطرس وتسليم السيد المسيح لهُ رعاية الخراف والكباش والنعاج. واليك تاريخ الانجيل :

ܠܡܚܘܝܐ ܡܪܝ ... ܒܝܘ ܕܚܕ ܒܫܒܐ ܡܢ ܫܒܥܬܐ ܕܡܥܠ ܫܪܝ ܡܢ ܫܪܝ ܕܫܪܝ ܡܢ ܫܪܝ ܕܫܪܝ ܡܢ ܫܪܝ ܕܫܪܝ

---

١) الديلم طائفة من الفرس كانوا يسكنون شيراز واذربيجان واردبيل شمالي غربي فارس لبسوا دورًا مهمًّا في الحروب مع الاتراك في القرون المتوسطة. وذكر ابن الاثير سنة ٨١ ه (٧٠٠ م) ان قزوين كانت ثغرًا للمسلمين من ناحية ديلم وابلى بعض المسلمون بلاءً عظيمًا ثم اغارت الديلم وقهروا المسلمين (٤ : ٢٢٢). واورد ايضًا في تواريخ سنة (٢٠١ — ٨١٦) ان عبدالله والي طبرستان افتتح البلاذر الشيرز من بلاد الديلم وأسر ابا ليلى ملكهم (٦ : ١٢٤) وسنة ٣٠٩ (٩٢١ م) سار ليلى بن النعمان الديلميّ من جرجان الى الدامغان وقتل من اهلها مقتلة عظيمة وعاد الى جرجان. ثم سار نحو نيسابور فقبض عليهِ وقُطع رأسهُ ونُصب على رمح وحمل رأسهُ الى بغداد (٨ : ٤٦). وسنة ٩٨٤ ملك الديلم الموصل وانتزع باذ الكردي (٩ : ١٦). وسنة ٩٨٥ استظهر الديلم على الاتراك ببغداد وكانوا خمسة عشر الفًا. وسنة ٣٧٩ (٩٨٩ م) وقعت الفتنة في شيراز بين الاتراك والديلم (٩ : ٢٥) وفي بغداد ايضًا (٩ : ٢٢) الخ الخ

[illegible]

« . . . اجتهد في استكتاب هـذا الكتاب المقدس حياة اعني الانجيل المقدّس ابونا مار اغناطيوس البطريرك الجليل الذي صار سبباً لكتابة كهذه . . . وهو من مدينة ماردين الحصينة ابن ابرهم المعروف بابن وُهَيْب . نُسخ الانجيل في دير مار حنانيا (الزعفران) سنة ١٦٢٦ (١٣١٥ م) لكنيسة مار يوحنا بقلّث نسخة الشمّاس مسعود بن جرجس الاربيّ التركمانيّ »

وجاء في اوّل صفحة هذا الانجيل بحروف كرشونيّة ما نصّهُ :

« سنة ١٩٨٢ (١٦٧١م) « الذي يأخذ الكتاب محروم محروم محروم من ڤ الاب محروم محروم محروم من ڤ الابن محروم محروم محروم من ڤ الروح القدس محروم محروم محروم ومن ڤ راس جمجمة شمعون بطرس محروم ومن ڤ العذراء ومن ڤ الاثني عشر ومن ڤ الاربعة الأنجيليّة ومن ڤ الاثنين والسبعين ومن ڤ الثلاثمائة والثمانية عشر اباء نيقية »

ووقّع على ذلك مختمه المطران متى بن صالح وقال: « قد صرت مطراناً على مار آباي سنة ١٩٣٤ اي ١٦٢٣ يونانيّة (١٣١٢ م) وسنة ١٩٨٤ اي ١٦٧٢ (١٣٦٣ م) كتبت هذا الحرم

وفي الكنيسة ايضاً كتاب حسّايات نُسخ سنة ١٤٨٧ م هذا تعريب ما كتبهُ الناسخ في آخره :

« انتهى كتاب الحسّايات سنة ١٤٨٧ م في ايلول في دير مار آباي بجبال قوردس عند قلّث التابعة لقضاء الصور . في عهد اغناطيوس يوحنا ١٨ ابن ثيلة (+ ١٤٩٤) البرطليّ . وباسيليوس المقربان ابن اخت البطريرك خلف (+ ١٤٨٤) وساويرا القاشي مطران كرسي دير مار آباي الجليل الذي في الصور بقلّث . . . كُتب الكتاب لكنيسة مار يوحنا الديلميّ بقرية قلّث . نقلهُ عن ثلاث نسخ مصحّحة ومدقّقة يعقوب المزوق (١ الراهب ابن عبدالله من قرية الاحمدي وكان مسكنهُ في دير مار موسى النبكيّ تاج الشهداء الكائن في جبل الدخان . صاروا على الرهبان المحبرين القاطنين دير مار آباي الذين اسكن معهم وهم ثمة . . . ورئيسهم متروٍ في دير مار ثاودوطا فوق دير مار آباي . صاروا على الكهنة السبعة المتوطنين خدمة بيعة مار يوحنا بقرية قلّث »

١) هو يعقوب المزوق الذي صار بطريركاً يعقوبياً سنة (١٥١٠) وتوفي سنة (١٥١٩)

وختم بقوله: « انا ساويرا (١ بالاسم اسقف أُيدتُ هذا التذكار . وأمرنا ان لا يمحوه احد » . وورد في تاريخ كتاب الفرض الصيفي المنسوخ سنة ١٥٥٣ ما تعريبهُ:

« انتهى كتاب الصلوات الصيفيّ سنة ١٥٥٣ م في عهد البطاركة اغناطيوس يعقوب الحصني (من حصن كيفا) الساكن في صلح . وباسيليوس شمعون مغربان المشرق اصلهُ من كفرشامع . وقرلس مطران مذيات . واثناسيوس مطران حاح وباسيليوس مطران الزوجل ويوحنا مطران قرتمين . وموسى مطران دير مار آباي . . وتسمة رهبان »

نُسخ الكتاب اوّلاً في دير حبشاس وانتهى في دير صلح المعروف بدير اللُّبخ . في عهد اغناطيوس بن شمعون الرازيّ بطريرك طور عبدين الذي انشأ ثيثاً وماتة وخمسين واهيًا واقام لهم اديرة ثووها وصنَّف الميامر كما افرام ونظم حسَّايات كأبي نصر المرحوم (٢ والف رسائل وطقوساً بيعيَّة ونوافير »

ولم نعثر في كنيسة قلّث على كتب أقدم من التي ذكرناها وبعد هذا عدنا الى دار القسّ بولس هيمو وبتنا ليلتنا فيها (لهُ بقيَّة)

تعريف بعض مخطوطات مكتبتي

لجناب القانوني جرجس افندي صفا (تابع)

١٩ ﴿ كتاب تاريخ الايمم ﴾ الى آخر مدة السلطان الملك الاشرف قانصوه الغوري مختصر وهو ثلاثون ورقة قطع ربع غير مكتوب فيه تاريخ نساخته ويشبه ان يكون كتب في سنة ٩٣٠هـ لانه ينتهي في هذا التاريخ وكاتبهُ مجهول (٣

---

١) اصل ساويرا من قلث وارتسم مطرانًا على الصور سنة ١٦٨٨ وسمي سويرا يشوع وعام ١٥٠٩ خلف نوحًا البقوفاوي في بطاركيَّة اليعاقبة . وسنة رسامته أُكره على الاسلام فاسلم ثم ندم وهرب الى قبرس وتاب توبة نصوحًا

٢) ورد اسم ابي نصر في تواريخ كتب سريانيَّة شتى ولم يُضف اليها اسم وطنهِ وزمانهِ

٣) تقدَّم لنا ذكر كتاب المعرفة ووصفه (ص ٣٣٩) وقد جاء فيه ذكر النور الذي يظهر في قبر السيد المسيح في القدس وقد قرأنا ما كتبهُ مؤخرًا حضرة الاب شيخو عن مؤرخي الاسلام في امر هذا النور (ص ١٨٨) فاردنا ان نذكر ما جاء في كتاب المعرفة المزبور اتمامًا لذلك قال في الكتاب المرقوم بعد كلام: « فاذا كان فصح النصارى وهو يوم السبت الكبير

٢٠ ﴿ رسالة في الاسطرلاب ﴾ ١٣ ورقة بخط دقيق قطع نصف كل صفحة ٢٣ سطرًا وهي بقدر ضعفي كتاب العمل بالاسطرلاب الذي نشرهُ المشرق الصادر في كانون الثاني سنة ١٩١٣ (ص ٢٩–٤٦) وفيها مباحث غير مذكورة في الكتاب المنشور في المشرق وتحتوي هذه الرسالة على ستين باباً ولم يذكر فيها اسم المؤلف ولا تاريخ كتابتها اولها:

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على اشرف رسلهِ محمد وآله وصحبه اجمعين . اما بعد فهذه رسالة في الاسطرلاب مشتملة على ستين باباً وخاتمة الباب الاوّل في حدّهِ والقاب اجزائه الخ . ويتخلّل الابواب فصول

ومما جاء فيها في الباب السابع والثلاثين في معرفة مقدار مسافة من مساحتها مانع كعَرْض الانهار وبُعد جدار القلعة المحاصرة :

« وطريقهُ ان تقف في شاطئ النهر او في موضع ترى منه اسفل جدار القلعة وتعلّق الاسطرلاب وتحرّك الضادة حتى يقع الشعاع البصري من الثقبين ويصل الى الموضع المطلوب معرفة بعده مثل الطرف الآخر من النهر واسفل جدار القلعة ثم دُرْ وانظر حتى ترى من الثقبين فاذا رأيتهُ فاسمح ما بين موقفك الى اسفل الموضع فما سفل فهو مقدار ارتفاع ذلك المرتفع »

ومنه في معرفة عمق البئر :

« ينبغي ان تضع خشبة عليه تقوم مقام قطره وتعلّم على وسطه وتعلّق فيه جسماً ثقيلاً مضيّاً يصل الى قعره بطبعه وتقف قريباً من البئر وتدير الضادة الى ان ينفذ الخطّ الشاعي من الثقبين قاطعاً للخشبة ويصل الى الثقيل ثم تمسح ما بين اللامة ونقطة تقاطع الخطّ الشاعي مع الخشبة

وذلك يوم يخرج الناس من موضع القبر الى الصخر وحول الصخر درابزينات يتطلعون الى موضع القبر يبتهلون كلهم ويتضرّعون الى الله تعالى من وقت الاولى الى المغرب ويحضر الامير وإمام المسجد ويغلق السلطان الباب الذي على القبر ويقعد على الباب . فهم على هذا حتى يروا نوراً كأنهُ نار يضاء يخرج من جوف القبر فيفتح السلطان الباب عن القبر ويدخل اليها وفي يده شمعة فيشعلها من ذلك النور فيخرجها والشمعة تشتعل ولا تحترق فيدفعها الى الامام فيأتي الامام بتلك الشمعة فيشعل قناديل المسجد فاذا تداولت تلك الشمعة ثلاث ايدي احترقت بعد ذلك وصارت ناراً ويكتب الخبر الى السلطان ويعلمه ان النار نزلت في وقت كذا من يوم كذا . فاذا نزلت وقت الصلاة الاولى من ذلك اليوم كان دليلاً عندهم على ان السنة لبست بخصبة ولا قحطة واذا نزلت وقت العصر دلت على ان السنة قحطة » . وقد قدمنا ان مؤلف هذا الكتاب انتهى منه سنة ٣٣٢ للهجرة (٩٣٤م) فهي تضاهي في القدم شهادة المسعودي التي وردت في المشرق (ص ١٩٢) بل هي اقدم منها

وتضرب في مقدار القامة وتقسم حاصل الضرب على ما بين موضع القدم ونقطة تقاطع الخط الشاعي مع الخشبة فخارج القسمة مقدار عمق البئر »

ومنه باب في معرفة إحداث القنوات واجراء المياه اذا اردت ان تعلم من ماء البئر في اي موضع يظهر على وجه الارض . ومنه باب في معرفة إجراء القناة بطريق آخر اسهل

ومنه باب في معرفة ارتفاع مرتفعات لها مانع من الوصول الى مسقط حجرها وغير ذلك مما خلت منه الرسالة المنشورة في المشرق

٢١ كتاب ﴿ نضرة اللباب في شرح بهجة الالباب في علم الاسطرلاب ﴾ تأليف محمد بن علي الحميدي (والمتن للسيد عبد الحليم القيصري) وهو ١١٢ صفحة بخط دقيق في كل صفحة واحد وعشرون سطراً مضبوط النقل جيداً اوله : « الحمد لله الذي جعل الليل لباساً والنهار نشوراً » . نسخ هذا الكتاب سنة ١١٨٧ للهجرة (١٧٧٣م) وفيه رسوم واشكال ومما جاء فيه عند شرح كلمة اسطرلاب قال (١ :

انه تخصص من بين الالات لسهولة طريقه وقرب مأخذه او لكثرة نفعه وهو بالسين وعند البعض بالصاد قال كوشيار الحكيم في بعض تصنيفاته معناه ميزان الشمس ومن ثمة ظن البعض تركيبه من اسطر بمعنى الميزان ولاب بمعنى الشمس . وفي بعض تصانيف ابن ابي ريحان هو في لغة اليونان اسطرلابون معناه مرآة الكواكب . وبعضهم قال : واجد الكواكب . وقال بعضهم : اسطر بمعنى السطر بمعنى التصنيف ولاب اسم ولد هرمس الحكيم وهو اول من اخترع الاسطرلاب . وقيل اول من اخترعه بطليموس ويؤيد الاول ما نقل شارح مقامات الحريري عن ابي نصر الفتي : لما وسم لاب ولد هرمس دوائر الفلك في سطح منور قال هرمس : من سطر هذا ؟ قيل لاب : في جوابه فمن هذا قيل اسطرلاب . هذا حاصل ما في شرح الرسالة الطوسية (ثم قال) وقال الزنجاني انواعهُ خمسة الشمالي والجنوبي (وهو مثل الشمالي في العمل والهيأة الا ان دائرة الجدي هي دائرة السرطان وبالعكس) والكروي والمطبَّل والسرطاني (٢

ويقول الشارح في آخر الشرح المذكور انه « فرغ من تأليفه في حجّة لو زيد عليها سبعة عشر وضرب جذر المجتمع في خمسة ونقص عشر الحاصل من المجذور عاد الى الاول ». وفي آخر هذا الكتاب رسالة لبدر الدين محمد سبط الشيخ جمال الدين المارديني في العمل بالربع المجيّب تشتمل على مقدمة وعشرين باباً وهي ثمان صفحات

١) راجع في تعريف الاسطرلاب ما جاء في المشرق (ص ٣٠)
٢) اي على صورة الكرة والسرطان كذا في الهامش

٢٢ رسالة ﴿ في معرفة حساب منازل القمر ﴾ بأيّ نجم يُهلّ الهلال في كل شهر منها وذكر البروج الاثني عشر وقسمة المنازل عليها وكل ما فيه نظير للآخر من الشامية واليمانية وذكر سنة النجوم وزيادتها على سنة الاهلّة وما يقطع القمر والشمس من المنازل في الايام والليالي واختلاف النـاس في ابتداء العدد بحلول الشمس في المنازل وذكر الفصول الاربعة وقسمة البروج والمنازل عليها وفي ايّ وقت يكون كل فصل من الشهور ومعرفة منزلة الشمس في ايّ يوم اردت من اي فصل كنت فيه ومعرفة المنزلة الطالعة والساقطة والمتوسطة ومعرفة ما مضى من الليل ومنزلة القمر وصفة منازل القمر على ما سمّتها العرب واعداد نجومها وهيآتهـا واختلاف اشكالها والظاهر منها والخفيّ والمُنير والمنطمس واختلاف اسمائها وجهاتها وانوائها ومقاديرها في رأي العين ونسبتها الى الصور المذكورة ومعرفة نزول الشمس الى البروج من كل شهر من شهور السريان. وهي ستّة اوراق ونصف قطع ربع تاريخ كتابتها سنة ١٠١٥ للهجرة (١٦٠٦ م) ومضموم اليها رسالة اخرى في خمسة اوراق تأليف تقيّ الدين (١ ابن المعروف المصريّ الراصد وهي شرح تسعة ابيات شعر من نظم المؤلف نفسه. قال في اول الرسالة بعد البسملة والمقدمة:

وبعد فهذه رسالة شرحتُ فيها الابيات التسعة التي نظمتُها في استخراج التواريخ المشهورة من التاريخ العربي وعكسه تبصرةً للطلّاب وتذكرة لأولي الالباب. اعلم انه لما كانت معرفة الزمان المنضبط بغرّة الشهر تحقيقاً اي من حين اجتماع النيّرين اجتماعاً حقيقياً او من وقت إمكان رؤيته متوقفة على معرفة تقويمها وذلك متوقف على معرفة ذلك الزمان وكان ذلك الزمان مستحيلاً لِما فيه من الدور وطلبوا قطعة تجعل الشهر تقريباً ليؤخذ منهُ التقادم ثم تعرف بذلك الغرّة المحققة فجعلوا المحرّم ثلثين يوماً والصفر تسعةً وعشرين يوماً وهلم جرًّا الى آخر السنة فحصل بذلك المقصود. الّا انه لمّا كان الشهر الوسطيّ واثنتي عشرة ساعة محققة مستوية واحدى عشرة درجة حصل من هذا الكسر في بعض السنين يوم كامل فاحتاجوا الى جعل ذي الحجّة في تلك السنة ثلثين ثم ضبطوا تلك الكسور فوجدوا في كل ثلثين سنة قمرية احدى عشرة سنة كبيسة وهي: ب هـ ز ى ح به ح كا الد الو الط. فاهملوا ما زاد عنها من الكسور وهو ثلث ساعة وخمس سدس عشر ساعة لانهُ لا يتحصل منه يوم كامل الّا في الفي سنة ومائة وستين سنة

ثم ذكر تاريخ السريان وتاريخ الاسكندر بن فليفوس الرومي ومبدأهُ من اول

---

١) لم اقف على ترجمة المؤلف فيما عندي من التراجم ولعل الشرق يتحفنا بترجمته

السنة التي خرج فيها لتملكه الدنيا وانهُ ذو القرنين الثاني غير باني السدّ على الصحيح وقال « ان ايام سنته ٣٦٥ يوماً و٥ ساعات و١٢ درجة وخمس ونصف خمس درجة بتقريب قريب على رأي السلطان اُلوغ بيك وفي كل اربع من سنيه يخلون شباط تسعة وعشرين يوماً فتبقى السنة ثلثمائة وستين يوماً ويزول الكسر تقريباً »

ثم ذكر تاريخ القبط والنصارى والفرس والجلالي وستي الملكي والفارسي الجديد وضع في زمان السلطان جلال الدين بن الب ارسلان السلجوقي . ثم تاريخ مختصر وقال انَّ بطليموس بنى اوساط المجسطي عليه . ثم تاريخ العبرانيين والرومانيين ثم ذكر معرفة غرّة الاشهر

٢٣ ﴿ كتاب مرشدة الطالب الى اسنى المطالب ﴾ نحو مائة ورقة قطع ربع بخط دقيق وكل صفحة ١٧ سطرًا وهو بغاية الضبط في علم الحساب والجبر تأليف العلّامة شهاب احمد بن الهائم اوله : « الحمد لله على التحقيق والشكر له على التوفيق كتب سنة ١٠٤٠ للهجرة (١٦٣٠ م)

٢٤ نسخة اخرى من ﴿ كتاب مرشدة الطالب الى اسنى المطالب ﴾ في الحساب كتبت سنة ٩٩٢ للهجرة (١٥٨٤ م) كتبها محمد شمس الدين المعروف بسبط الزرعي . ومجموع اليه كتاب آخر في الحساب لعليّ بن محمد بن محمد (كذا) ابن عليّ القرشيّ الشهير بالقلصاديّ الاندلسيّ السبطيّ اوله : « الحمد لله السريع الحساب مقلّب القلوب ومهيّئ الاسباب وهو بقدر كتاب المرشدة المارّ ذكره يسمى كشف الحجاب في علم الحساب . كتاب ثالث مضموم اليهما قريب الحجم من المرشدة في علم الحساب بخط مغربي غير مذكور فيه تاريخ نساخته اوله بعد البسملة :

« وبعد فانَّ اصحابنا طلبة العلم اكرمهم الله تعالى سألوني ان اقيّد لهم جملة مختصرة من مسائل الحساب وكيفية العمل فيها ببيان شافٍ من غير برهانٍ على ذلك فاجبتهم الى ذلك وسلكت فيه طريقة الشيخ الفقيه الاجل الازكى الاعدل ابي جعفر التوزري التونسيّ »

امَّا المؤلف فيسمي نفسهُ في المقدّمة بمحمد شرف الدين بن احمد الهذلي الشابي المهدويّ الدار الحرساوي منشأً التونسيّ قراءةً

٢٥ ﴿ كتاب خواصّ الاحجار ﴾ لجمال الدنيا والدين شمس الدين محمد

ابن احمد صقر النسّابي الدمشقي وهو ١٤ ورقة قطع ربع اوله : « الحمد لله العزيز الغفّار الواحد القهّار » وهو نسخة قديمة غير مذكور فيها تاريخ كتابتها

٢٦ ﴿ مختصر مفردات الراغب ﴾ بخط حسن دقيق مضبوط النقل للغاية عدة اوراقه ١٠٦ قطع ربع تحتوي الصفحة على ٢٥ سطرًا وهو في اللغة تفسير الفاظ القرآن تفسيرًا وافيًا وقلّما يذكر معنى اللفظة الّا ويذكر اصل المعنى مثلًا : « دلوك الشمس » ميلُها للغروب من دلكتُ الشمسَ دفعتُها بالراحة ومنه دلكتُ الشيْ بالراحة . « الدّمغ » كسر الدماغ ومنه حجة دامغة . « الرّسل » الانبعاث على التؤدة . ناقة رسل سهلة السير وإبل مَراسيل منبعثة انبعاثًا . ومنه الرسول المنبعث وتُصُوّر منه تارة الرفق فقيل : على رِسْلك اذا أمر بالرفق . وتارة الانبعاث فاشتُقّ منه الرسول

٢٧ ﴿ مرقاة كلام العرب ﴾ ٨٢ ورقة قطع ربع خط جميل مضبوط بالشكل الكامل غير مذكور تاريخ نساخته ويظهر من هيأة ورقه انهُ كُتب منذ نحو اربعمائة سنة على الاقلّ وهو يذكر اللفظ العربي ومرادفهُ ثم يذكر ترجمة اللفظة بالفارسيّة مثالهُ « الهيأة والصورة والخلقة والشارة بيكره » . « النفس والعَرَض والجسم والجسد والبدن تَنْ » . وهو مقسّم ابواباً والابواب فصولًا فيذكر اعضاء الانسان ثم اصناف الانسان ثم الحِرَف ثم الامراض ثم الاطعمة ثم الامتعة والاقمشة والاسلحة ويذكر الحيوان والنبات وغيرها على نحو هذا الترتيب

٢٨ ﴿ السامي في الاسامي للميداني ﴾ صاحب مجمع الامثال وهو ١٢٢ ورقة قطع ربع من الورق الكبير خط فارسي دقيق بديع جدًا وهو في نهاية الضبط والاتقان مضبوط بالشكل الكامل بكل احكام اوله :

« (بعد البسملة) الحمد لله الذي لا يتمّ امر دون حمده . ولا يبلغ وصف كُنْه قدره ومجده . (الى ان يقول) وجعلته (اي الكتاب) اربعة اقسام القسم الاول في الشرعيات وما يناسبها . والثاني في الحيوانات وما يضاف اليها . والثالث في المُدُن وآت . والرابع في السُفليات يشتمل كل قسم على ابواب وفصول ملتقطة من عدّة كتب اصول . وأعرضتُ عن الاستشهاد بالاشعار المشهورة . واقتصرت على ذكر اللغة المأثورة . وتركت الجموع الجارية على سَنَن القياس . ليصغُر حجمه في اعين الناس . هذا بعد ان اذكر منها صدرًا صالحًا في صدر الكتاب وأعقب ذكره فهرس الاصول والابواب »

وقسمه الى ٦٤ باباً وكل باب الى فصول ويأتي باللفظة العربية ومرادفاتها وجمعها وترجمتها بالفارسية مثال منه :

« الله واله خداي سزاي پرستش . الآلهة ج الالاهية . خدايى . (ثم يعد كل ما يُطلَق على الباري وغيره من الاسماء والصفات بحيث لا يغادر من ذلك شيئاً) . الازليّ والقديم والدائم والأبَدُ همیشه . الآل واهل البيت وآل ياسين خاندان . الكتاب والسفر والزبر والقطُّ والصحيفة نامه . الزُبور والقطوط والصُحُف (ج) . الحرب والبأس والهيجاء والوَغَى والوقعة والوقيعة واللقاء والقتال كارزار . المأزق والمأزِمُ والمأفِط تنكناي حرب . رجل مِسْلَق ومِسلاق وسلّاق وسليق قوي سخن . بقّاق وبقباق وثرثار ومكثار وسُهب بسيار كوي . العنق والجيد والرقبة والمادي والكَرد والمَرَاد والتليل كردن »

ومما ذكره المؤلف مستوفى مما جاء مثنّى من الاسماء ثم الاتباع والمزاوجة وما يكون للكلمة الثانية معنى وما لا يكون ثم ما اتفق لفظه وافترق معناه وقال في اخره انه فرغ من تأليفه سنة ٤٩٧ (١١٠٣ م) ولم يذكر في هذا الكتاب تاريخ نساخته ويشبه ان يكون نُسخ منذ اكثر من اربعمائة سنة

٢٩ ﴿ كتاب النوادر في اللغة ﴾ تأليف ابي زيد الانصاري وفي آخره كتاب مائية في اللغة ايضاً بخطّ محمد بن المكرّم بن ابي الحسن بن احمد الانصاري الخزرجي الكاتب مؤلف كتاب لسان العرب قال في آخره : « فرغ من تعليقه ابو عبدالله محمد بن المكرّم بن ابي الحسن الانصاري الخزرجي الكاتب عفا الله عنه بالمزيّة القاهرة حماها الله تعالى بكرمه وصانها في سنة ٦٧٥ (١٢٧٦ م) ثم يقول : « نُقلت هذه النسخة من نسخة بخط مولانا السيد الشريف تاج الشرف ابي عبدالله ابن السيد الشريف ابي القاسم عبد الرحمان بن عليّ الحسيني الحلبيّ رضي الله عنه ». وهو مضبوط بالشكل الكامل على الهامش ذكر الروايات التي في نسخ اخرى من هذا الكتاب وهو نحو مائتي ورقة قطع ربع بخط دقيق جميل . وهذا هو الكتاب الذي طُبع في المطبعة الكاثوليكيّة بعناية المرحوم الاستاذ اللغوي سعيد الشرتوني فبنى طبعهُ على نسختنا

٣٠ ﴿ شرح شافية ابن الحاجب ﴾ في الصرف تأليف الامام عبدالله بن محمد بن احمد الحسيني وهو ٢١٦ صفحة بخط دقيق مضبوط بما يحتاج اليه من الشكل في كل صفحة ١٣ سطراً كتبت هذه النسخة سنة ١٠٦٦ للهجرة (١٦٥٥ م) عن

نسخة كتبت عن نسخة كتبت عن نسخة كتبت عن النسخة التي كتبت بخط المؤلف

٣١ ﴿ كتاب ربط الشوارد في حلّ الشواهد ﴾ وهو شرح شواهد شرح التصريف للعلّامة رضي الدين محمد بن ابرهيم بن يوسف الشهير بابن الحنبلي . وفي ظهر اول صفحة من الكتاب بخط فارسي جميل جدًا ما يأتي بلا نقط: « هذه نسخة جليلة نادرة وهبها المولى الفاضل الفاضل بين الحقّ والباطل مولانا الشيخ محمد السروري (١ الشافعي للفقير محمد بن اسحاق قاضياً بثغر دمياط وسكور (كذا) ومضافاتها نسخ هذا الكتاب سنة ٩٣٢ للهجرة (١٥٢٥ م) وهو ٥٤ صفحة قطع ربع من الورق اوله : « نحمدك يا من ليس لهُ مثال ولا لمزيد برّهِ نقص ولا زوال ». اما متن التصريف فهو للزنجاني وشرحهُ للتفتازاني

٣٢ رسالة ﴿ في الاستعارات ﴾ ورسالة ﴿ في البلاغة ﴾ لابي الليث ورسالة ﴿ في بيان المجاز ﴾ للعلّامة عصام الفها بالفارسيّة وتُرجمت الى العربية ولم يذكر اسم المترجم . ورسالة بخط فارسي جميل للغاية شرح خمسة ابيات نظمها صدر الشريعة جمع فيها بحر الشعر العربي اولها: « الحمد لله الذي منح اهل العلم بكامل انعامه وسريع احسانه » والشارح غير مذكور اسمه في هذا التأليف وكل هذه الرسائل مجموعة في مجموع يبلغ نحو مائة ورقة قطع ربع وبعضها مذكور فيه انه نُسخ سنة ١١٧٥ للهجرة (١٧٦٠ م)

٣٣ ﴿ شرح لامية العرب ﴾ خطّ جميل جدًا والمتن مضبوط بالشكل الكامل والشرح مضبوط بالشكل المحتاج اليهِ ضبطاً دقيقاً وهو شرح مطوّل نحو ١٥٠ ورقة قطع ربع غير مذكور فيه اسم المؤلف ولا تاريخ نساخته ويشبه ان تكون هذه النسخة مفردة وانها أُلفت وكتبت منذ اكثر من ثلاثمائة سنة اوّله :

ابلغ كلام رصّعتهُ براعة . وابلغ نظام رصّعته براعة . شكر من انطق اللسان بالكلم النوابغ . وطوّق الانسان بالنعم السوابغ . (الى ان يقول في المقدمة) ولما تحلّيت بما حلا وراق . وجنيتُ اليانع من ثمرات الاوراق . حملق اليَّ الدهر حملقة المحارب او الحريب وطوى عني كشحهُ فعل المستريب . . .

ثم ذكر هذه القصيدة فقال: « وهي وان شرحها حبر بعد حبر . ووشحها همام

١) هذه اللفظة يمكن ان تقرأ البتروني والبيروني والبيروتي

إثر همام بوشاح درّ . لم تجمع فريدة مكنونة . وخريدة في خدرها مصونة » . ثم ذكر ان شرحها المنسوب الى الزمخشري فقال « ان نسبة ذلك الشرح اليه فرية . وافك ما فيه مرية » . ثم ذكر الشعر وتعريفه ثم ترجمة الشنفرى ثم قال :

« قال القالي في اماليه . لامية العرب من المقدّمات في الحسن والفصاحة والطول . وكان ناظمها اقدر الناس على قافية . وقال ابن هشام : كان اهل الادب يقولون اولى ما تُراض به الابناء لامية العرب والسبع الطوال فانها تفتق الالسن بالفصاحة وتهذّب الاخلاق وتزيد في العقل . قال عبد القادر البغدادي : وقد شرحها جماعة منهم الخطيب التبريزيّ والزمخشريّ وابن الشجري وابن أكرم

(ثم قال) وقد وقفت على الثاني (اي شرح الزمخشري) وعلى شرح ابن الشجري فوجدته صغيرًا في نحو الكرّاسة وستقف على ما في الشرحين من الاوهام »

٣٤ ﴿ تحكيم العقول باقول البدر بالنزول ﴾ تأليف العلّامة علاء الدين اقبرس (؟) «وهو ردّ على بدر الدين الدماميني وتخطيئه في تأليفه الكتاب المسمّى بنزول الغيث الذي انسجم على شرح لامية العجم مخطّئًا الصلاح الصفدي في شرحه لامية العجم » يبلغ نحو ١٥٠ ورقة قطع ربع كُتب سنة ١٠٢٣ للهجرة (١٦١٤ م) وفي آخره تقريظ لشيخ الاسلام شهاب الدين احمد بن حجر العسقلاني وآخر للشيخ زين الدين ابي بكر ابن العجمي وآخر للشيخ شمس الدين الزركشي مطوّل وآخر للشيخ احمد بن عبد الوارث الصديقي . وهو يحوي فوائد ونوادر لغوية ونحوية وبيانية وشواهد نفيسة شعرية . ولنا كلام آخر يتعلّق بهذا الكتاب نكتبهُ في فرصة اخرى ان شاء الله تعالى

٣٥ ﴿ ميزان الادب لعصام ﴾ مختصر في النحو والمعاني والبيان نحو ٩٠ ورقة قطع ربع بخط جميل دقيق كتب سنة ١١٧٢ للهجرة (١٧٥٨ م)

٣٦ ﴿ شرح المعلقات السبع للزوزني ﴾ نسخ سنة ٦٠٦ للهجرة (١٢١٠ م) وفي آخره شرح قصيدة النابغة الذبياني المشهورة : « يادار ميّة بالعلياء فالسَّنَد » للزوزني ايضاً نُسخت في التاريخ المذكور وكلا الشرحين غاية في الضبط

٣٧ ﴿ شرح شواهد المفصّل ﴾ في النحو خطّ نسخي بديع على ورق جميل ١٦٠ ورقة اوّله : « الحمد لله الذي فضّل الانسان بفضيلة البيان وشرّفه بشرف النطق وفصاحة اللسان » . ويذكر البيت واللغة والمعنى والاعراب ولم يُذكر فيه اسم المؤلف

ولا تاريخ نساخته . وفي آخره رسالة نحو ١٥ ورقة لراءة بالك سروري (كذا) في شرح امثلة في الصرف قال انهُ « انها في اوائل الشباب ثم اضاعها مدة من الدهر ثم عثر عليها » وتلك الامثلة التي شرحها غريبة في بابهـا فانها في التصريف والاعلال تصير كأنها خارجة عن العربية

٣٨ ﴿ شرح ابيات الايضاح والمفتاح ﴾ قطع ربع بخط دقيق نحو مائتي صفحة غير مذكور فيـه تاريخ نساخته ولا اسم مؤلفهِ ويشبه ان يكون نسخ منذ خمسمائة سنة على الاقل اوله : «الحمد لله المؤيد بحسن توفيقه . الهادي بادلّة الطافه الى طريقه» . وهو نسخة جليلة مضبوطة وكل صفحة منه ٢١ سطرًا

٣٩ ﴿ كتاب نشر البراعة ﴾ ٢٢ ورقة قطع ربع بخط رقيع يسمى « خير الكلام في التقصي عن اغلاط العوام » للمولى علي چلبي قاضي مرعش نسخ سنة ٩٧٨ الهجرة (١٥٧٠ م) . ويحتوي ايضاً على الرسالة القلمية لعلي افندي الشهير بجنائي زاده والرسالة القلمية لطورسون زاده والرسالة القلمية لمحمد چلبي افندي الشهير بغني زاده والرسالة القلمية لام الولد زاده والرسالة القلمية للمولى چلبي الشهير بقره محمود چلبي والرسالة القلمية للطفي بك زاده . وهذه الرسائل تتضمن وصف القلم بعبارات بليغة مسجعة ومنها ما هو موازنة بين القلم والسيف

٤٠ ﴿ مقامات الحريري ﴾ وعليها في الهـامش شرح الكلمات اللغوية المحتاجة للتفسير ومكتوب على هامش المقامة السابعة والثلاثين ما يأتي : « قرأ عليَّ المولى مؤيد الدين احمد بن القاضي شرف الدين بن الزنكي كاتب هذه النسخة من اول المقامات الى آخر السابعة والثلاثين قراءة فهم وتدبّر وذلك في مجالس آخرها ١٨ من جمادى الاولى سنة ٧٢٢ وآخرها بسندي فيها الآتي ان شاء الله عند ختم الكتاب . كتبهُ محمد زنكي شادى الغانم » وهذه النسخة مضبوطة بالشكل الكامل . وعلى الهامش مؤاخذات على الحريري من ذلك قول الحريري في المقامة السابعة والثلاثين « فسقط الفتى في يدهِ » قال في الهامش : « انه كناية عن الندم وذكرُ الفتى هنا خطأ اذ ليس المعنى ان الشيء يسقط في يد نفسهِ وانما المعنى سقط الندم في يد الفتى »(١ . وفيه

(١) راجع شرح ده سامي فان فيه كلاماً مشبعاً في هذه الجملة

بيان اصل اشتقاق كثير من الالفاظ من ذلك قول الحريري في المقامة الثامنة والعشرين: « فرأيتها بكرة عَروبةَ » قال في الهامش: عَروبة يوم الجمعة سميت بذلك لظهورها واشتهارها واصلها من الاعراب وهو البيان والظهور » (١) . ومنه في شرح المقامة الثانية والعشرين قول الحريري «والمُهيمن على العمال» قال في الهامش: المهيمن الامين واصله مؤتمن من الامن لفظه لفظ المصغّر وليس بمصغّر والذي جاء من ذلك الفاظ يسيرة »

٤١ ﴿ مقامات الزمخشري وشرحها له ﴾ بخط فارسي دقيق جميل مضبوط للغاية نسخ سنة ١٠٨٢ للهجرة (١٦٧٠ م)

٤٢ ﴿ ديوان يوسف افندي الكريمي ﴾ عاش في القرن العاشر للهجرة وهو نحو ستين ورقة بخط حسن قطع ربع اوله: « الحمد لله الذي اخرج منه قرائح ذوي النباهة والزكن » اول قصيدة منه:

نأى والاماني الكاذبات بي تدنو بديع جمالٍ من محاسنه الحسنُ

وفيه قصائد لشعراء العصر ارسلت للناظم منها ابتداء ومنها ارسلت اليه جواباً

٤٣ ﴿ ديوان شهاب الدين احمد الفيومي المسمى بكرامات الولى ﴾ وهو نحو مـائة ورقة قطع ربع كتب سنة ١١١١ للهجرة (١٦٩٩ م) اوله: « الحمد لله وليُّ الحمد ومستحقُّهُ »

فمن شعره ملتزماً الجناس في كل مصراع:

بهيٌّ بعقود الوصل حلّت وحلّتِ وحلّت لقلبي الصبرَ اذ بيَ حلّتِ
اراها اراها البين مرآة نوعتي تصدّت فراعت قلتي وتصدّتِ

ومنها:

غزالَ الصفا من بعدك العيشُ ما صفا ولا طاب لي منذ قيل عزّةُ عزّتِ
اما لكَ عن صدّ اما لك عن صدٍ فتيٍّ وكهلٍ في المحبّة ما فتي

٤٤ ﴿ كتاب شذور الذهب ﴾ وهو ديوان شعر من انشاء الشيخ الامام العالم العلّامة برهان الدين ابي الحسن علي بن موسى بن ابي القاسم ابن علي

(١) وفي شرح ده ساسي انه تعريب أدُبا النبطية اه. وهي في السريانية ...

الانصاري (١ ١٢٠ صفحة قطع ربع كبير نظمه المؤلف في علم الكيمياء القديمة وتفنّن في نظمه فاظهره بمظهر الغزل والحماسة والزهد وغير ذلك وهو من بديع النظم ونظن ان هذه النسخة لا ثاني لها في الضبط والاحكام ولم يذكر فيها تاريخ نسخها ويظهر من قدم ورقها وهيأة الخط انها كتبت منذ اكثر من ٦٠٠ سنة وقد وقفتُ على نسخة من هذا الكتاب في دمشق في مكتبة الملك الظاهر وهي مشحونة بالغلط واخرى في بعض المكاتب نظيرها في الغلط . وعندي واحدة بخط المرحوم السعيد الذكر المثلث الرحمة المطران جرمانس فرحات الشهير وهي كثيرة الغلط والتحريف حتى ان جملة ابيات فيها لا محصّل لهُ وقد عني المرحوم المشار اليهِ في اتقانها وكتابتها على ورق نفيس لاعجابه بنظمها وهو مع كثرة تنقيبه لم يظفر بنسخة صحيحة . ولا باس من ذكر مثال من هذا الديوان ليعلم مبلغ اقتداره في الشعر وبلاغته قال على قافية القاف :

اذا افترّ من جَوْن الغمائم بارقُهْ ... بكى الوَدْقُ من خَجْلٍ الانامل وادقُهْ

بدمعٍ كأنَّ الريح تنثر لؤلؤًا ... على خدّ روض سندسيّ حدائقُهْ

لدى طللٍ قد كان بالبيض ناطقًا ... فاخرس من بعد الفصاحة ناطقُهْ

تُحلّي بهِ ورقاؤه طوق جيدها ... وينفضُهُ من عن جناحَيْه ناعقُهْ

فيالكَ من روض كستْهُ يدُ الحيا ... مُنَوَّقةً تَبْلَى سواها عواتقُهْ

هي الوشيُ لا ما احكم الفرسُ نسجَهُ ... بصنعاء مما يَقصُر الطرفَ رائقُهْ

وياضٌ حكَتْ ملتفَّها العينُ فاغتدى ... يُمثّل شخصَ العَينِ للعَينِ آنِقُهْ

يُؤجّجُ نارَ التَّورِ بَردُ ظلالهِ ... ويدفعُ حرَّ الشمس بالظلّ وارقُهْ

كأن ثغورَ الباسمات اقاحُه ... ضحىً وخدود الغانيات شقائقُهْ

كأنَّ الذي يجري من زَهَراتهِ ... وبعثرُ مشوقٌ تلقّاه عاشقُهْ

كأنَّ عيونَ النرجس الغضّ اضرمت ... لهُ حسدًا في الحبّ فهي رواشقُهْ

كأن الذي يُخفَى من التَّور نبتَهُ ... بأكمامه رمزٌ توارت حقائقُهْ

---

١) الاندلسيّ الجياني نزيل فاس ولي خطابة فاس لم ينظم احد في صناعة الكيمياء مثل نظمه بلاغة معانٍ وفصاحة الفاظ وعذوبة تراكيب حتى قيل فيه انه ان لم يملك صناعة الذهب ملك صناعة الادب وقيل هو شاعر الحكماء وحكيم الشعراء توفي سنة ٥٩٣ هـ (١١٩٧م)

كأنَّ سنى الماء في جَنَباتِهِ جرى بين قضبان الزبرجد دائبُهْ
كأنَّ تلالل الدوح فوق غديره ترائب مزرورٌ عليها بانقُهْ
كأنَّ غصونَ الآس عند اهتزازها يُجاذبُ بعضٌ بعضها ويُبانقُهْ
كأنَّ التفاف اللدن منها بمثله وداعُ حبيبٍ ضمَّ الفًا يُفارقُهْ
كأنَّ ثراها عنبرٌ طاب فاكتنى بنفحتهِ عن مسكِ دارينَ ناشقُهْ
كأنَّ بياضَ الشمس يطوي سوادَهُ كما نشر الإصباحَ في الليل قائقُهْ
كأنَّ غلامًا من بني الزنج جرَّدت لتصيده سِحًا عليه بطارقُهْ
كأنَّ رُبى بطحانها تحت مُزنهِ عرائسُ مضروبٌ عليها سُرادقُهْ
كأنَّ شذاها حين تنسجها الصَّبا من المسك ما ابدى من العَرف فاتقُهْ
كأنَّ بها غبَّ السماء يمانيًا يُنشِّرُ فيها رَيطُهُ ونفارقُهْ
كأنَّ بقايا المزن في رَيق الحبا تُطيلُها من نخل مَلهمَ باسقُهْ
كأنَّ ذرَاها حين صوَّح نبتُها فتى اشمات نارَ المشيب مفارقُهْ
كأنَّ الرسوم الدارسات خلالها رمائمُ اموات بكتها بوارقُهْ
سألْ غابَ البدرُ عنها فأظلمت مغاربُه من ليلها وشارقُهْ

وهي طويلة اكتفينا منها بما ذُكر. ومن ظريف نظمه قولهُ في اثبات الكيميا بطريق البرهان قال:

وان كُنتَ في ريبٍ منه قاسما فياسًا وبُرهانًا من الصُبح أنورا
الم تَرَ بأنَّ النِذاة تُبيدُه حرارتُنا بعد ابيضاضٍ تحمَّرا
دمًا فانيًا حتى اذا ما تمخَّضت به النارُ في اصلابنا وتمدَّرا
وصار دمًا من بعد أن كان نُطفةً تكامل حتى صار خلقًا مصوَّرا
فحرَّكه بعد اقتناع قراره تَضايقهُ عند التمام ليطيرا
وكان نباتًا يملأُ العينَ حُوَّةً فهاج الى ان صار في العين اصفرا
ومن قبل ما قد كان يذرًا مكوَّنًا يجمع الهوى والماء والنار في الثرى
تردَّد في الاطوار حتى تَعَذَّبت بطينته روحُ الحياة لينشرا
كذا في ثرى احجارنا الذهب الذي يكون اذا ما قيس بالنضر اخضرا
كما كان بالامكان في الدم نُطفةً فصار به حيًّا مريدًا مفكّرا

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثاني : الالفاظ النصرانيَّة في لغة عرب الجاهليَّة (تابع)

٥ مفردات نصارى العرب الدالَّة على رؤسائهم ورهبانهم

وكان للنصارى في جزيرة العرب كما في بقيَّة البلاد نظامهم الدينيّ ورُتَبهم من رؤساء ومرؤوسين يسوسهم الرُّعاة وزعماء الدين . ويمتاز بينهم العبَّاد والمنقطعون لخدمة الله في الرهبانيَّة . والدليل على ذلك الفاظ متعدّدة وردت في آثار عرب الجاهليَّة تشهد على قولنا شهادةً واضحة

فمن الفاظهم التي استعملوها للدلالة على رئيس النصارى (الأَبيل) وقد اتَّخذوهُ للدلالة على السيّد المسيح كما ورد في البيت المنسوب للاعشى وللاخطل ولابن عبد الجن :

وما سبَّح الرهبان في كلّ بيعةٍ ايلُ الايلين المسيحُ بن مريما

قال في لسان العرب (١٣ : ٦) « وكانوا يعظِّمون الأَبيل فيحلفون به كما يحلفون بالله » . وهذه اللفظة سريانيَّة أَحْمَلَّا (من فعل أَحْلَا اي ناح وبكى على خطاياهُ) ومعناها في السريانيَّة الزاهد والناسك والراهب وكانوا يتَّخذون عادةً رؤساءهم من الرهبان المتبتلين

ومن الفاظهم الخاصَّة برئيس النصرانيَّة « البَطْرَك » « والبِطْرِك » على ما جاء في التاج (٧ : ١١١) قال : « هو مقدَّم النصارى . وقال : البطرك هو البِطْريق ومنهم من جعل البطريق مقدَّم جيش الروم » والصواب انَّ البطرك كلمة يونانيَّة (Πατριάρχης) معناها ابو الآباء اما البطريق فلفظة لاتينيَّة (Patricius) . وقد جاء اللفظان في الشعر القديم قال الراعي يصف ثورًا (لسان العرب ٧٢ : ٢٨١) :

يبلو الظواهرَ فردًا لا أليفَ لهُ مثلَ البطركِ عليهِ رَبْطُ كتّانِ

وقال اميّة بن ابي الصلت في البطريق (التاج ٦ : ٢٩٦) :

من كل بطريقٍ لبطريقٍ نقيّ الوجهِ واضحْ

وكذلك انشد ابن بريّ (اللسان ١١ : ٢٠٣) :

فلا تكرونني انّ قومي اعزّةٌ بطارقةٌ بيضُ الوجوهِ كرامُ

ومن الناظهم (الجاثليق) وهو دون البطرك واصل الكلمة من اليونانيّة ومعناها السكوني (Καθολικός) وقد استعملوهُ لرؤساء النساطرة والارمن قال صاحب القاموس : « هو رئيس للنصارى في بلاد الاسلام بمدينة السلام ... ويكون تحت يد بطريق انطاكية ثمّ المطران تحت يدهِ ثمّ الاسقف يكون في كلّ بلد من تحت المطران ثمّ القسيس ثمّ الشمّاس ». وقد ورد اسم الجاثليق في شعر بكر بن خارجة (معجم البكري ص ٣٧١) :

بمارقةٍ مريمٍ وبديرِ زكّى وبَرْثوما وديرِ الجاثليقِ

امّا (المَطران) فأصلها على هذه الصورة من السريانيّة ܡܛܪܦܘܠܝܛܐ او ܡܛܪܘܢܐ والسريان اختصروها من ܡܛܪܘܦܘܠܝܛܐ اليونانيّة (μητροπολίτης) ولم نجدها في الشعر القديم

واشيع من المطران عند العرب (الأُسقُف) زعم ابن السكيت انهُ مشتقّ من السَّقَف وهو طول في انحناء وهو تأويل غريب . والصواب انهُ مشتق من اليونانيّة (ἐπίσκοπος) بواسطة السريانيّة ܐܦܣܩܘܦܐ . وقد وردت اللفظة في الكلام القديم . روى ابن سعد في كتاب الوفود في شروط محمّد الى اهل نجران : « لا يغيّر أُسقف عن اسقفيّته ولا راهب عن رهبانيّته ولا واقف عن وقفانيّته ». وكذلك روى البكريّ في معجم ما استعجم للحسين بن الضحّاك يصف دير العُشّر (ص ٧٦٩) :

عجّت اساقفُها في بيت مذبحها وعجّ رهباها في عرصة الدارِ

ومن الناظهم الدالّة على رؤساء النصارى (الحَبْر) ويقال الحِبْر واصلها العالِم . ثمّ خصّوها بكبير النصارى واستعملوها ايضاً لغيرهم . قال ابن بن خُرَيم يذكر خمر القسّيس (الاغاني ١٦ : ٤٥) :

ولم يشهد القسُّ المُبَيِّنُ نارَها طروقًا ولا صلّى على طبخها حَبْرُ

وجاء في الجمهرة :

او زُبِّر حِمْيَرَ بِنا احبارُها بالحيرَتَيْنِ في عسيبٍ ذابلِ

وروى ابن هشام في سيرة الرسول (ص ٣٨٥) قول الشاعر :

لو كنتُ مرتَهَنًا في القُسِّ أفتَنَني منها الكلامُ وربَّاني أحبارِ

قال ابن هشام القُسّ صومعة الراهب والرِبّاني مشتقّ من الربّ اي السيّد ومثلهُ الحبر بمعنى «السيّد العالم» . وجاءت الحبر بمعنى العالم من اليهود او كبيرهم ومنهُ كعب الأحبار . ويشبههُ قول الشمّاخ (اللسان ٥ : ٢٢٩) :

كما خطّ عِبْرانيّةً يومَ بَيْسانَ حبرٌ ثمَّ عرَّض اسطرا

وكما دُعي رؤساء النصارى بالاحبار دعوهم ايضاً (بالأرباب) . قال حُميد بن ثور (المخصّص ١٢ : ٨٧) يصف بعيرًا يطأطئ برأسهِ ليُرْكَب :

فُعُولَ ازمَّتها أسجدتْ سجودَ النصارى لأربابها

وروى في التاج (: ٣٧١) : « لأحبارها »

ومن الالفاظ المختصّة برئيس النصارى عند العرب (الساعي) . قال في التاج (١٠ : ١٨٧) : « الساعي للبرد والنصارى رئيسهم الذي يصدرون عن رأيهِ ولا يقضون امرًا دونهُ . وبالمعنَيَيْن فُسِّر حديث حذيفة في الامـانة ان كان يهوديًّا او نصرانيًّا ليردَنَّهُ على ساعيهِ »

وممّا ذكرهُ اللغويون (القَسطُوس) قال في التاج (٤ : ١٩٢) : « هو رأس النصارى واللفظة روميّة » لم يمكننا ردُّها الى اصلها ولعلّها مصحّفة

ومنها (القسّ) شرحهُ اصحاب المعاجم برئيس من رؤساء النصارى في الدين والعلم واللفظة سريانيّة قُسّا اي شيخ وتأتي على وزن فَعيل قَسْقَسٌ ومنها القسّيس في العربيّة . قال جرير في القسّ (المعرّب للجواليقي ص ٣٩) :

صبَّحن تُوماء والناقوسُ يقرَعُهُ قسُّ النصارى حراجيجاً بنا تَجِفُ

قالوا تُوماء من اعمال دمشق . ورواية معجم المستعجم للبكري (١ : ٢١٥) : ثُرماء . قال ثُرماء ماء لكندة . وروى في لسان العرب (١٤ : ٣٤٣) : « صبَّحن تَيْماء » . ومن الشواهد في القسّ قول الراجز (اللسان ٨ : ٥٨) :

لو عرست لا بل قس أشعث في بيعة مندس حن اليها كحنين الطس

ومنه اسم قس بن ساعدة خطيب العرب واسقف نجران. ومما ورد في القسيس قول عبدالله بن زبير لحجار بن ابجر العجلي (الاغاني ١٣ : ٤٧) يقرعه في نصرانيته :

وعندك قسيس النصارى وصلبها وخانية صهباء مثل جنى النحل

وجمعوه على قساقسة . قال امية بن ابي الصلت (التاج ٤ : ٢٠٧):

لو كان منفلت كانت قساقسة بجيرم الله في ايديهم الزبر

والاسم من القس (القسيسية والقسوسة) وفي الحديث « لا يغير قسيس من قسيسيته » واللفظة مشتقة من السريانية ܩܫܫܐ وبنى منها العرب فعل قس

ودون القس (الشماس) عرفه ابن سيده في المخصص بقوله (١٣ : ١٠٠): « من رؤوس النصارى يحلق وسط رأسه ويلزم البيعة » . واللفظة سريانية ܫܡܫܐ اي خادم البيعة . وقد تسمى بعض العرب بالشماس كما ورد في الاشتقاق لابن دريد (٢٦٨) وفي حماسة ابي تمام (ص ٢٥٥) . وجمعها خلف بن خليفة (كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٤٤٨ ed. Goeje) على شمامس فقال :

كأنا شمامس في بيعة نفس في بعض عيدانها

وجمعها البحتري على شمامسة حيث قال (معجم البلدان لياقوت ٢ : ٨٣):

بين شمامس وقسوس

ومن الالفاظ التي وردت في المعاجم لرتب النصارى الواقف والواقه والواهف . (فالواقف) على ما ورد في لسان العرب والقاموس والتاج خادم البيعة مشتقة من وقف النصراني وقيفى اذا خدم البيعة ونقل في التاج (٦ : ٢٦٩) الحديث في كتاب عمر لاهل نجران « ان لا يغير واقف من وقيفاه » (قال) : « الواقف خادم البيعة لانه وقف نفسه على خدمتها » . وروى ابن سعد (ed. Wellhausen. ٧٧) « من وقفانيته » . و (الواقه) قيم عرفوه « بقيم البيعة التي فيها صليب النصارى بلغة اهل الجزيرة » التاج (٩ : ٤٢١) . وروى الحديث السابق : « لا يغير واقه من وقهيته » . والوقاهة كالوقهية والواقه بالقاف كالواقه وروى الحديث ايضاً : « ولا واقه من وقاهيته » . ومثلهما (الواهف) قال في التاج (٦ : ٣٧٣) : « الواهف سادن

البيعة التي فيها صليبهم وقيمها كالرافه وعملها الرِّهافة بالكسر والفتح والرُّهفيَّة والهَنْيَة. وقد رَهَفَ يَهِفُ رَهْفاً ورَهافةً. وقال ابن دريد في المخصَّص (١٣ : ١٠٠) : « الرافه مقلوب عن الراهف »

ومثل الرافه (السَّاعور) شرحها في التاج (٣ : ٣٦٨) : « مقدَّم النصارى في معرفة علم الطبّ وادواته واصلهُ بالسريانيَّة ساعورا ومعناهُ متفقِّد المرضى. والساعور (صُهْدُوْل) في عهدنا تُقال في الجزيرة لقيِّم البيعة وفي مصطلح السريان يُراد بها المدبّر والزائر مطلقاً

واكثر ما تعدَّد عند العرب من المفردات النصرانيَّة الالفاظ الدالَّة على الرُّهبان ومساكنهم . فمنها (الأَبيل) التي مرَّ ذكرها ومعناها الزاهد والراهب . وقد ذكرنا اصلها السريانيّ . ومن غريب التأويل ما ذكرهُ في التاج (٧ : ١٩٩) : « الابيل الراهب سُمّي بهِ لِتَأَبُّلِهِ عن النساء وتَرْكِ غشيانهنّ قال عديّ بن زيد :

أتتني رافه فأقبلْ حِلفتي بأيلٍ كلَّما صلَّى جأرْ

وقال ابن دريد : هو ضارب الناقوس وانشد :

« وما صكّ ناقوسَ الصلاةِ ايأُها »

ومثل الأَبيل (الأَيْلِيّ والأَيْلِيّ والهَيْلِيّ) وكلُّها بمعنى واحد اي الراهب ولعلَّها مقلوبة عن الابيل . قال الاعشى :

وَمَا أَيْلِيٌّ على هيكلٍ بناهُ وصلَّب فيهِ وصارا

واشهرُ من الابيل والايليّ (الرَّاهب) فأكثرُ من ذكرهِ شعراء العرب قال الاعشى (تاج العروس ١ : ٢٨) يحلف بمسوح الرهبان والكعبة :

حلفتُ بثَوْبَيْ راهب الدير والتي بناها قُصَيٌّ والمُضَاضُ بن جُرْهُم

اراد بثوبَيْهِ مسحَيْهِ كما قال جرير (التاج ٨ : ٦٩ وسيرة الرسول ٣٨٥) :

لا وَصْلَ اذ صرمَتْ هندٌ ولو وثقَتْ لاستفتَنَّني وذا المسحَيْنِ في القُوسِ

وروى البكري في معجم ما استعجم (ص ٤٨٩) بيت الاعشى : « بثوبَيْ راهب الطور » وروى ايضاً « وثوبَيْ راهب اللُّجِّ » (راجع المفضَّليَّات (ص ٤٨ ed. Lyall) واردف البكري قائلاً : « قيل انهُ اراد المسيح عليهِ السلام بقولهِ راهب اللجّ . . . والتي بناها قُصَيّ يعني مكَّة »

وكان رهبان جزيرة العرب يسكنون في البادية واعالي الجبال كما يشهد عليه بيت انشده ابن الاعرابي (التاج ١ : ٢٨١) :

لو كلّمتْ رُهبانَ دير في القُلَل ... لانحدر الرُّهبانُ يسعى فنَزَلْ

قالوا الرُّهبان هنا مُفرد كالراهب . وقال ربيعة بن مقروم الضبّي يصف مقام الراهب ونسكهُ (الاغاني ١٩ : ٩٢) :

لو انها عرضت لأشمطَ راهبٍ ... في رأسِ مُشرفةِ الذُّرى متبتّلِ
جثأرِ ساعات النهار لربّهِ ... حتى تجدَّد لهُ مُتعبَّدٌ لم يُعمَلِ
لَصَبا لبهجتها وحُسن حديثها ولَهَمَّ من ناقوسهِ بتَرَنُّلِ

والتشمل المتفنّي في تلاوة الزبور . قال الراعي (معجم البلدان ٤ : ٥٠١) :

وبربرٍ ناءٍ لو رآهنَّ راهبٌ ... لهُ ظلّهُ في قُلّةٍ ظلَّ رانيا

يقال رنا اليهِ اي طرب لحديثهِ . وممّا وصفوهُ وافاضوا في ذكرهِ مصباحُ الراهب الذي يوقدهُ ليلًا لصلاتهِ فيُرى عن بُعد ويستهدي بهِ طارق الليل . قال امرؤ القيس في معلّقتهِ يصف لمعان البرق ويشبّههُ بسراج الراهب عند صبّهِ الزيت على الفتيلة ليذكيهُ :

أصاحِ ترى برقًا أُريكَ وميضهُ ... كلمعِ اليدَين في حبيٍّ مكلّلِ
يُضيء سناهُ او مصابيحُ راهبٍ ... أمال السليطَ بالذُّبالِ المُفتّلِ

ومثلهُ قول كُثيّر (اللسان ١٥ : ١٧٩) :

او مصابيحَ راهب في يَفاعٍ ... سفَّهَ الزيتَ ساطعاتِ الذُّبالِ

وقال امرؤ القيس (راجع ديوانهُ في العقد الثمين ص ٢١) :

نظرتُ اليها والنجومُ كأنّها ... مصابيحُ رُهبانٍ تُشبُّ لقُفّالِ

قال الشرّاح : القفّال عبّاد النصارى لانهم قفلت جاردهم اي يبست من العبادة . وقال المزرّد اخو الشمّاخ (عن ديوانهِ المخطوط) :

كأنّ شعاع الشمس في حُجُراتها ... مصابيحُ رُهبانٍ زهتها القناديل

وذكروا لبس الرهبان للسواد قال الاعلم (في الهذليّات ص ٥٧) يصف قسمة جلد الضباع :

سودٍ سحاليلَ كأنّ جلودهنّ ثيابُ راهبْ

وقد وصفوا الرهبان بالتبتّل . قال امرؤ القيس (ديوانهُ ص ١٤٨) :

تُضيءُ الظلامَ بالعشاء كأنّها منارةُ مُمسَى راهبٍ مُتبتّلِ

والصَّرورة مثل المتبتّل (١ قال النابغة الذبياني (ديوانهُ في العقد الفريد ص ١١)

لو انّها عرضت لأشمط راهبٍ عَبَدَ الالهَ صَرُورةٍ متعبّدِ
لرنا لروّيتها وحسن حديثها ولخالهُ رُشدًا وان لم يرشدِ

كذلك وصفوا صلاة الرهبان في ليلهم وتشعّث لُمّتهم زهدًا واصوامهم . قال منظور الاسديّ (راجع تهذيب الالفاظ لابن السكيت ص ٤١٢ ولسان العرب ١٣ : ٦) :

كأنّ سواهُ على الكَلْكَلِ مَوْقِعُ كفَّيْ راهبٍ يصلّي
يازلِ وَجناء او عَيْهَلِ في غَبَشِ الصُّبح او التلّي

وقال الآخر (اللسان ١٤ : ٨٩) :

عن راهبٍ متبتّلٍ متقهّلٍ صادي النهارَ لليلهِ متهجّدِ

القَهَل يُبْس الجلد من العبادة . والتهجّد السهر للصلاة . وكانوا يتلون الزبور خصوصاً في صلاتهم كما قال امرؤ القيس يصف رسوم الدار (ديوانهُ في العقد الثمين ص ١٦١) :

أتت حججٌ بعدي عليهِ فأصبحتْ كخطِّ زبورٍ في مصاحفِ رهبانِ

وكما افاضوا في ذكر الرهبان كذلك بيّنوا منازلهم في بلاد العرب فخصُّوا منها بلاد مَذْيَن قال كثيّر عزّة (معجم البلدان لياقوت ٤ : ٤٥١) :

رهبانُ مَذْيَنَ والذينَ عهدُهم يبكون من حَذَرِ العقاب قعودا
لو يَسْمعونَ كما سمعتُ كلامها خرّوا لعزّةَ رُكّعًا وسجودا

وقال جرير (ياقوت ٤ : ٤٥١) :

رهبانُ مَذْيَنَ لو رأوكِ تنزّلوا والعُصْمُ من شَعَفِ الجبالِ النّادرِ

وكذلك خصّصوا وادي القرى كناسك للرهبان قال جعفر بن سراقة احد بني قرّة (الاغاني ٧ : ١٠١) :

فنحنُ منعنا ذا القرى من عدوّنا وعذرةَ اذ تلقى جموعًا وبَعْثَرا

---

١) وفي الحديث . « لا صرورة في الإسلام » قال الزجاجيّ معناهُ التبتّل وترك النكاح

منناهُ من عليا معدٍ وانتمُ سفاسيفُ روحٍ بين فرحٍ وخيبرا
فريقانِ رهبانٌ بأسفل ذي القرى وبالشام عرّافون فيمن تنصّرا

وكذلك عيّنوا مَوْزَن وهو بلد بالجزيرة في ديار مُضر كاحد مناسك الرهبان. قال كثيّر (راجع التاج ٣ : ٤٩٩ وياقوت : ٤ : ٦٨٠):

كأنّهمُ قَصْرًا مصابيحُ راهبٍ بمَوْزَنَ رَوّى بالسليط ذُبالها
هم اهلُ الواحِ السريرِ ويُثْنِي قرابين اردافًا لها وشمالها

قصرًا اي عشيًا. والسليط الزيت كما مرّ. وعدّد صخر الغيّ (لسان العرب ٩ : ٢٧ والتاج ٥ : ٢٨٣ والهذيليّات ص ١٢) امكنةً اخرى يسكنها الرهبان كبلاد الروم ومنازل تنوخ وحوران وزَبَد. قال:

والله لو اسمعتْ مقالتَها شيخًا من الشَّثْنِ رأسُهُ لَبَدُ
بأبهُ الرومُ او تنوخُ او م الآطام من صَوْرانَ او زَبَدُ
لَنَاتَجَ البَيْعَ يوم رونِيَا وكان من قبلُ يَمْنُهُ لَكَدُ

فذكرُهم للرهبان في كلّ هذه الامكنة يؤيد قولنا في القسم الاوّل عن شيوع النصرانيّة في انحاء جزيرة العرب

وكانوا يدعون الرهبان بالحُبساء. و (الحبيس) في المعاجم المحبوس في سبيل الله اي المُفرَز لذلك فيقولون حبيس الله (١

وكذلك دعوا الرهبان (بالحُنَفاء). وقد مرّ لنا كلام في الحنيف في القسم الاوّل من كتابنا (ص ١١٦) حيث اثبتنا انّ الحنيف جاءت بمعنى الراهب. كفى شاهدًا على ذلك قول صخر الغيّ في الهذيليّات (ص ٤٥ ed. Kosegarten):

كأنّ توالِيَهُ بالمَلا نصارى يسافون لاقَوْا حنيفا

ومن اسماء الراهب عند العرب (الدَّيْرَانيّ) قالوا انهُ صاحب الدير نسبةً اليه على شذوذ والصواب انهُ من السريانيّة دِمْدَمْلَ. ومنها ايضًا (الرَّبيط) قال الزجاجيّ: «هو الراهب. وفي التاج (٥ : ١٤٣): «الربيط الراهب والزاهد والحكيم الذي ظلف اي ربط نفسهُ عن الدنيا اي سدّها ومنعها». ومنها (الجُلاذيّ) و(الجُلَذي)

---

١) اطلب كتاب المعمّرين للسجستاني (Goldziher. *Abhandlungen*, XXXII)

قال في التاج (٢ : ٥٥٧) هو خادم البيعة والراهب والجمع الجَلَاذيّ بفتح الاوّل وقد ورد في الشعر القديم قال تميم بن مُقبل :

صوتُ النواقيس فيه ما يفرّطُهُ ايدي الجلاذيّ جونٌ ما يغبّنا
كأنّ أصواتها من حيث تسمعُها صوت المحارث يخلجن المحارينا

ورُوي البيت الاوّل : « الجلاذي وجون ما يغبّنا » والثاني : « صوت المحابض ينزعنَ المحارينا »

ومن اسماء الراهب ايضا (النّهاميّ) جاء في المخصّص لابن سيده (١٣ : ١٠٠) : « النهاميّ في قول ابن الاعرابيّ الراهب لانهُ ينهم اي يدعو . ومن المحتمل انّها مستعارة من السريانيّة ܢܗܡܐ اي الباكي والزاهد كما قالوا الابيل . او هي مشتقّة من الحبشيّة كما ارتأى العلّامة نولدك (Beitraege, p. 56) . وجاءت اللفظة في الشعر القديم قال الاسود بن يعفر (لسان العرب ٢٠ : ٦٦) :

وقالوا شربتُ قلتُ يكفي شريبكم سنانٌ كنبراس النّهابي تقتّقُ
تخنّثهُ العصا ثمّ استمرّ كأنّهُ شهابٌ بكفّي فارسٍ يتحرّقُ

وقد رأيت انهم دعوا الراهب (بالأشعث) لتشعّث لمّته قال الشاعر (لسان العرب ١٩ : ٣٤١ راجع ايضاً المفضّليّات ص ٤١١) :

وأشمطَ عنوانٌ به من سجوده كرُكبةِ عَتْرٍ من عنوزِ بني نَصرِ

وقال صخر الغيّ :

شيخاً من الشُّعثِ رأسهُ لبدُ

وقد سمّوا الراهب (المُقدّس) اذا زار بيت المقدس كما قال امرؤ القيس يصف ثوراً ادركتهُ الكلاب فقطّعت جلدهُ :

فأدركْتُهُ يأخذنَ بالساقِ والنّسا كما شبرقَ الولدانُ ثوبَ المقدّسِ

قال في اللسان (٨ : ٥٠) شبرق جلدهُ اي قطّعهُ . يقول قطّعهُ الكلاب كما شبرق ولدان النصارى الراهب الذي يجيء من بيت المقدس فقطّعوا ثيابهُ تبرّكاً وكانوا يتبرّكون به وبمسحهِ الذي هو لابسهُ واخذ خيوط منه حتى يتمزّق ثوبهُ وقيل المقدّس الحبر »

ومن اسماء الراهب عندهم (المتعبّد) قال ابن سيده (١٣ : ١٠٠) : « هو المنقطع في الصومعة » وقد مرّ في الشعر

وقد ابتدعوا من الراهب اسماً فقالوا « الرهبانيَّة » ومنهُ ما ورد في سورة الحديد (ع ٢٧) : « وقفَّينا بعيسى بن مريم واتيناهُ الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتَّبعوه رأفةً ورحمةً ورهبانيَّةً ما كتبناها عليهم الَّا ابتغاء رضوان الله »

وكما ذكروا الراهب ذكروا (الراهبة) وجمعوها الرواهب . قال امرؤ القيس (العقد الثمين ص ١١٨ والتاج ٤ : ٤٣) :

فآنستُ سرباً من بعيدٍ كأنهُ رواهبُ عيدٍ في مُلاءٍ مُهذَّبِ

ودعوا الراهبة ايضاً (بالدَّيْرانيَّة) وردت اللفظة في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة (ص ٢٢٩) وفي معجم البكريّ (٣٧٧) . ودعوا الرواهب ايضاً (بالعذارى) ومنهُ عدَّة اديرة وصفها العرب وسمَّوها اديرة العذارى (راجع البكري ص ٣٧٦ وياقوت في معجم البلدان ٣ : ٦٧٨) ومنهُ صوم العذارى « للعذارى النصرانيَّات من العرب شُكْرًا لله حيث انتصرت العرب من العجم يوم ذي قار » (الآثار الباقية للبيروني ص ٣١٤)

وعلى ظننا انَّ (الحَوَاريَّات) ارادوا بها ايضاً العذارى الرواهب قال مُسهر اليشكري (اللسان ٥ : ٢٩٩) :

فَقُلْ للحَوَارِيَّات يبكينَ غيرنا ولا تبكِيَنَّا الَّا الكلابُ النوابحُ

ويلحق باسم الراهب « المحرَّر والنَّذيرة » ورد ذكرهما في المخصَّص (١٣ : ١٠١) في باب الرهبانيَّة ونحوها قال : « هما الابن أو الابنة يجعلهُ ابواهُ قيِّماً وخادماً للكنيسة وانَّما كان يفعل ذلك بنو اسرائيل كان ربَّما ولد لاحدهم ولد حرَّرهُ اي جعلهُ نذيرةً في خدمة الكنيسة ما عاش لا يسعهُ تركها » . وقد وردت لفظة المحرَّر في القرآن عن لسان والدة العذراء مريم فقال (سورة آل عمران ٣ : ٣١) : « اذ قالت امرأتُ عِمران ربِّ اني نذرتُ لك ما في بطني محرَّرًا » . والنذيرة من العبرانيَّة נדר اي المنذور للربّ (لهُ بقيَّة)

الشاهد العيان على احوال البلقان

رحلة الاب لويس ترقال اليسوعي الى ادرنة (تتمة)

يكلّ اللسان عمّا يخالج قلب المرء في بعض ظروف حياته اذا تنازعتهُ عوامل الخوف او الرجاء او الظفر بالمرغوب . فهذه العواطف كلها كانت ممتزجةً في صدرنا اذ انفتح امامنا باب مسقط رأسنا ورأينا سالمين اولئك الذين ارتعدت فرائصنا مرارًا خوفًا على حياتهم الثمينة في مدّة حصار ادرنة . فبقي اللسان متلجلجاً لا يسعهُ الّا تكرار الشكر لله على نعمة سلامتهم

وزاد شكرنا لهُ تعالى الذي اوصلنا ايضاً بالعافية بعد ٢٦ يوماً مضت منذ برحنا بيروت وفي حسابنا انّنا ندخل ادرنة في ثلث هذا الوقت وكلّ يعلم انّ المسافة بين الاستانة وادرنة لا تستغرق عادةً في السكة الحديديّة اكثر من ثماني ساعات فصرفنا ثلثة اضعاف الزمن الكافي لارتياد طريق امينة تؤدي بنا الى غايتنا . فلم يخب املنا مع ما لقينا من مشاقّ السفر

فاخذنا في ذلك الماء نصيباً من الراحة نتبادل عبارات التهانئ على سلامة جميعنا ثمّ طلبنا من ساعتنا ان تُسرّد علينا تفاصيل حصار ادرنة من اوّلها الى ختامها فروعها وكانت رواياتهم الحيّة تمثل لنا الاخطار الجمّة التي احاقت بهم مدّة نحو خمسة اشهر وملاك الموت حائم فوق رؤسهم لا رجاء لهم في غير رحمة الله . والحقّ يقال انّ هذه العناية الصمدانيّة شملت على طريقة محسوسة كلّ المتعسرة الاوربيّة المقيمة في ادرنة فلم يُصب واحد منها بأذًى سواء كانوا من الرهبان او من بقيّة الجالية . وكانت مع هذا قذائف العدوّ تخرق الجوّ فوق هامهم والرصاص يتطاير الى كلّ جانب فيُسمع صفيرهُ دون انقطاع ليلاً مع نهار . وقد سقطت بعض هذه القذائف قريباً من دارنا فانفجرت واحدة على بعد ٤٠ او ٥٠ قدماً منها وكسرت واحدة اخرى باباً ثم ساخت في الارض حيث رأيناها دفينةً . وكان احد انسبائنا يخرج كلّ صباح الى دواوين الريجي فلمّا دخل يوماً في باحة الديوان اذ انفجرت بغتة على مسافة اربعة او خمسة امتار منهُ قذيفة محشوّة رصاصاً (shrapnell) ومن وقتهِ سقط على جدار بناية

هناك فلمّا هدأ الصوت قام سليماً لكنّهُ رأى الجدار قد نفذت فيه بنادق الرصاص فثقبتهُ كالغربال . وسقطت قذيفة أخرى في اقبية الريجي دون ان تُلحق باحد ضررًا

والعجب العجاب انّهُ لم يُصَب كاثوليكيٌّ واحد بأذًى في ادرنة مدّة كلّ الحصار . امّا القتلى من بقيّة الاهلين فقد بلغ من عُرف منهم نحو المائتين وهو عدد قليل بالنسبة الى ما أُطلق من القنابل على المدينة فبعضها تفجّر في وسط البيوت وبعضها نفذ في جدران المساكن وخرج منها . وكان البلغار يطلقون قذائفهم من وراء الآكام المحيطة بأدرنة فلا يمكنهم ان يميّزوا بتدقيق بين احياء الاوروبيين ومساكن الاهلين . كما انّهم لم يراعوا المنازل القنصليّة والمعاهد الوسميّة رغمًا عن الرايات الدوليّة المنشورة فوقها فاحتجّ القناصل على عملهم لكنّ احتجاجهم لم يزل حبرًا على ورق ولم تزل حياة الجميع عرضةً للاخطار طول مدّة الحصار

فلمّا انتهى الرواة من تفاصيل هذه الوقائع كرّرنا آيات الشكر لضابط مقاليد الموت والحياة ثمّ اخلدنا الى الراحة حتى الصباح فاحتفلنا بترتيب عيد صعود الربّ الى السماء وفي اثرها زرنا بقيّة الاقارب وسمعنا من افواه الجميع اخبارهم الشخصيّة وما عانوهُ من المشاقّ وكيف نجوا من الاخطار . وكان لسانهم لا يلهج الّا بآيات الشكر للرب الذي بعينهِ الساهرة انقذهم من الف ميتة

وفيه ايضاً زرنا المستشفى العسكري الذي يقوم بتدبيره حضرة الرهبان الصعوديين فلقيتُ عندهم ١٥٠ جنديًا ممن أُصيبوا بضروب الجراحات فسرنا وسطهم وسألمنا عليهم وكانوا اذا سمعوني اتكلّم بالتركيّة او العربيّة يبشُّ وجههم وينطق لسانهم فيسرّون بمحادثتي لهم . وقد وجدتُ بينهم نفرًا قُطعت اطرافهم لشدّة البرد الذي قاسوهُ فقُطعت ايديهم وارجلهم . وكذلك تفقّدنا مستشفى الراهبات حيث عدد الجرحى كعدد المعالَجين في المستشفى العسكري . ذلك ما عدا مستشفيات اخرى منها الجمعيّة الصليب الاحمر او الهلال الاحمر ومستشفيات اخرى تتولّى في اغلبها معالجة الجرحى الراهبات او السيدات المحسنات

ولا يسعنا هنا الّا ان نردّد عبارات الشكر والمنونيّة التي كان يلهج بها كلّ اهل ادرنة وقراغاج مثنين اطيب الثناء على مروّة الكهنة الكاثوليك ورهبانهم ورواهبهم فانّ عدد الجرحى الذين عُنوا بمعالجتهم والفقراء المعوزين الذين سدّوا

رمقهم يبلغ الالوف لانَّ الآباء الصعوديين وحدهم كانوا عند اعلان الهدنة يعالجون ٥٠٠ من الجرحى. فما قولك ببقيَّة الرهبان والراهبات كالفرنسيسيين ورهبان القيامة اليونانيين واخوات اغرام والراهبات الصعوديَّات فانَّ اديرتهم كانت قد استحالت الى ملاجئ ومآوي يلوذ بها كلّ من يخاف على حياته. بل كان الرهبان يطوفون المدينة غير مكترثين لانفجار القنابل ليلًا مع نهار فيعودون المرضى في البيد القارس ويوزّعون الجسنات على المساكين او يجلبون الى اديرتهم الذين كانوا معرّضين في بيوتهم للهلاك

ومن غريب الاتفاق انَّ سراديب دير رهبان القيامة قد ضمَّت في وقت واحد قناصل دول فرنسة والنمسة وروسيَّة واستف البلغار الكاثوليك ومتروبوليت الروم الارثدكس وحاخام اليهود وعددًا لا يُحصى من اهل ادرنة من كلّ جنس وكلّ دين . وقد اجتمعنا ببعض اولئك المكروبين فكانوا يصرّحون علانيةً بانَّ للرهبان الكاثوليك اريحيَّةً لم يعهدوا لها من شبيه ومزيَّةً لن يبرح ذكرها من قلوبهم . امَّا الجنود الذين كانوا في مستشفياتهم فكانوا يودّون لو بقوا طول حياتهم عند الرهبان والراهبات فيدعونهم آباءهم وامّهاتهم واذا ودَّعوهم نطقت دموعهم الفائضة عن شكرهم لتفانيهم في خدمتهم دون استثناء

*

وكأني بالقرّاء الكرام يطلبون مني ان افيدهم عما جرى في حصار ادرنة من الحوادث الهامَّة فاقول اجمالًا انَّ ادرنة مدينة حريزة منيعة تُعَدّ من احصن المواقع الحربيَّة لما يكتنفها من الآكام فضلًا عن ثلاثة مجارٍ من المياه التي تسيل حولها فتزيدها حصانةً . وكان للمدينة من الاستحكامات ما يقوى على ردّ غارات الدّ الاعداء لولا بعض النقص في تموين البلد بالقوت اللازم لا سيما انَّ ارباب الامر لم يجهلوا انَّ ادرنة في وقت الحصار تُصبح ملجأ لاهل القرى فكان من الواجب توفير الذَّلات لسدّ هذا الخلل . وقد لحظوا انَّ ضبَّاط العسكر كانوا يتنعَّمون بالمآكل المتنوّعة على خلاف الجند الذين كانوا يتضوَّرون من الجوع ولا ينالون لسدّ رمقهم الَّا قطعاً غير كافية من خبز الماش الاسود الذي لا يرضى به اشدّ الناس فاقةً

وكان هناك خلل آخر وذلك في الاسلحة فانَّ مدافع كروب لم تكن موافقة لرمي القنابل كالمدافع الفرنسويَّة المصنوعة في معمل كروزو . وكذلك بنادق الاتراك

كانت مختلفة العيار فكان بينها ما لم تنفذ فيه القذائف او لم تبلغ قذائفهُ الغاية المقصودة. وكان الاتراك في حاجة الى طيّارات ليرصدوا حركات العدوّ ويرموهم من علُ وكانَ عسكر البلغار مجهّزًا بمثلها

ومما اضرَّ بتركيًا في الحرب ان بعض اركان الدولة كانوا منقسمين بينهم يهتمّون باغراضهم السياسيَّة وتغليب احزابهم بدلًا من جمع كلمتهم في سبيل الوطن. وكانت السياسة تشغل كثيرين من الضبَّاط عن واجباتهم العسكريَّة . وقد اقرّ بعضهم انَّ الضبَّاط بسوء مثلهم اضعفوا الحميَّة الوطنيَّة في قلوب جنودهم . وبينما كان الجنود يستقتلون في محاربة العدوّ او يرمون قنابلهم في ظلمة الليل من الخنادق حيث كاد دمهم يجمد في عروقهم من البرد كان الضبَّاط يقضون الليل في الملاهي واللعب ليس احد يهتمُّ بتنظيم ضرب القنابل وتبليغ الاوامر الى المحاربين فايّ عجب بعد هذا ان كانت قذائف الترك متضعضعة لا تأتي بفائدة . وكان البلغار في اثناء ذلك يرقبون بدقَّة كلّ حركات الجنود العثمانيَّة ويلحظون شططهم ليستفيدوا من اغلاطهم

فالمسؤوليَّة في كلّ ذلك على الضبَّاط لانَّ كلّ اهل ادرنة لسان واحد في الثناء على مروءة الجند وصبرهم على مشاقّ الحرب وطاعتهم العمياء في القيام باوامر رؤسائهم مع ما كان يصيبهم من بلاء المجاعة وعناء البرد الشديد . وقد اخبرنا الآباء الصمديُّون انَّ بعض هؤلاء المساكين كانوا يقرعون ابواب ديرهم ويطلبون كسرة من الخبز ولو بثمن بندقيَّتهم . وكم مات منهم قتلًا وبردًا وجوعًا دون ان ينبسوا بكلمة ولو شغبوا على ضبَّاطهم لقُضي على الجيش بأسره فكانوا على خلاف ذلك يصبرون الصبر الجميل على ضيقتهم. ولمَّا دخل البلغار مدينة ادرنة وجدوا بينهم نفرًا باتوا طاوين منذ يومين وثلاثة حتى اربعة ايَّام لم يذوقوا لماظةً

يحيط بادرنة سبع عشرة قلعةً وقد صرفت الدولة في تحصينها المبالغ الطائلة لتمرينها بالذخائر وتعزيزها بالدافع وبحفر الخنادق واحاطوها بالاسلاك الحديديَّة المسنَّنة فجعلوها كمنطقة بل مناطق عديدة لا يمكن قطعها الَّا بعد شقّ النفس والحسائر الجسيمة . وقد رأينا بالعيان تلك المناطق وتحقَّقنا صعوبة خرقها فكنَّا نرى على عرض ثمانية الى عشرة امتار الاسلاك الغليظة مشتبكةً ببعضها محدَّدة الرؤوس تسندها العمد الحديديَّة الراكزة في الارض . وكانت المدينة كلُّها مصونة بمثل هذا التجهيز

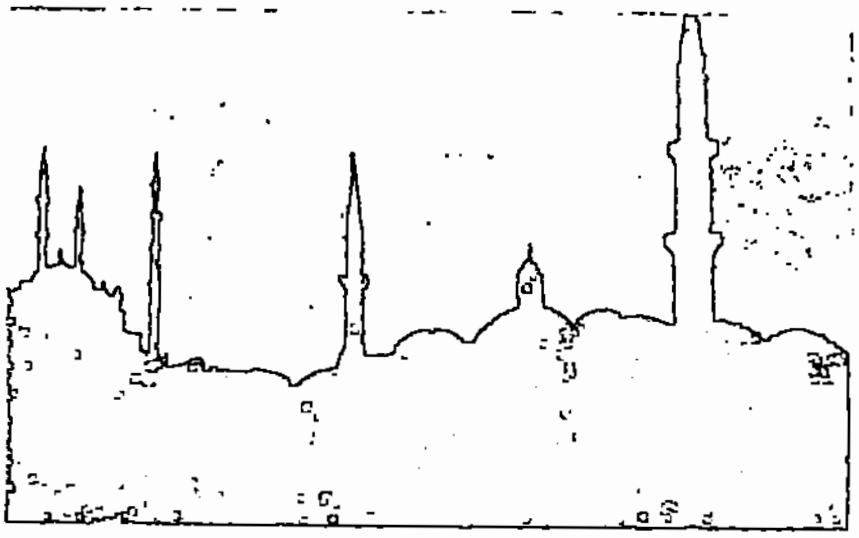

جامع السلطان سليم في ادرنة

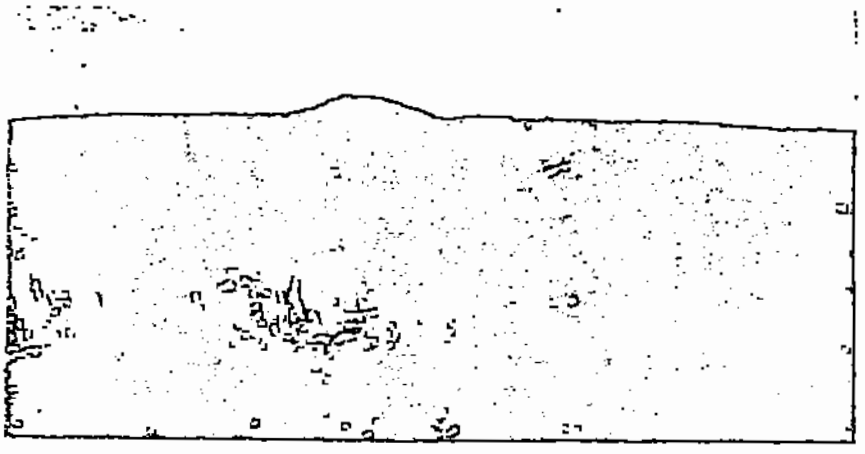

تجهيز البطاريات البلغارية على ادرنة

ومثلها الحصون والبطاريات وكان عدد مدافع الاتراك لا يقلّ عن ٦٠٠ مدفع ولكلّ مدفع خزانة قريبة منهُ يتناول منها الطوبجي حاجتهُ من القذائف. والخزانات في قُتر مستورة وحفائر لا يراها العدوّ.

ما أبعد فنّ الحرب في أيامنا وطرائق تحصين المدن عمّا اعتادوهُ سابقاً. كان القدماء يعزّزون مدنهم بحصون شاهقة وابنية سامقة يحفرون حولها الخنادق الواسعة ويدعمون جوانبها بجدران متينة منعطفة لا يُستطاع توقّيها فيقيم العدوّ الأيام والاشهر بازائها الى ان يفتح لهُ معبرًا الى باطنها او يرتدّ عنها خائباً مدحورًا. اما الاستحكامات الحاليّة فانّها تُحجب على قدر الامكان عن نظر العدوّ. وانّما يختار رؤساء الجيش الاكام التي يكشفون منها على حركات المعادين لكنّ التحصينات يجعلونها في اماكن منخفضة صوناً لها عن ضربات القذائف. والمدافع ذاتها يوكرونها في حفائر وانّما ترتفع فوهتها قليلًا عن سطح الارض وكثيراً ما يسترونها بالحشائش والأدغال لئلّا يقف العدوّ على مراكزها

وكان في ادرنة للترك بطاريّتان عظيمتان تتألف الواحدة من ستّة مدافع كبيرة من معمل كروب وكان موقعهما في مكان مكشوف قريباً من قراغاج استعانوا بهما لضرب البلغار في معسكرهم ثمّ في حصون «كوطل تيبه» لمّا استولوا عليها. واشتهرت بين قلاع الاتراك قلعة پاپاس تيپه بما ابداهُ اصحابها من البسالة في الدفاع وبما حدث في جوارها من الوقائع الدمويّة. وهذا الحصن قريب من جسر مراش أتيح لنا بان نزورهُ. ولمّا اقتربنا منهُ كانت ابنيتهُ تلوح لنا متقطوعة الرأس كأنّ القنابل قد دمّرت شرفاتها ولم نلبث ان نتحقّق انّ الحصن كان في اهبته التامّة وتحصيناتهُ كلّها في وطإ الارض وفي بطون الخنادق يملوها اكوام من التراب واصونة تحول دون قنابل العدوّ. ولحظنا حول الحصن وفي وسطهِ ثقوباً واسعة وتشوزًا من التراب والردم فهناك كانت سقطت قنابل البلغار فبعضها البالغ من ١٥ سنتمترًا الى ٢٢ سنتمترًا كان يغوص في الارض الى عمق مترين ونصف حتى ثلاثة امتار

ومن الخدع الحربيّة الجارية في أيامنا ان يضربوا العدوّ من مكان معلوم يطلعونهُ عليهِ ثمّ يفرغونهُ بنقل الدافع الى امكنة اخرى خفيةً فيُضيع العدوّ قذائفهُ بضرب المكان الاوّل لوهمهِ انّ المدافع لا تزال في مقامها. وقد اكثر البلغار من هذه

الخدع حتى تجاوزوا الحدود فمن ذلك انّ نفيرهم كان يدقّ النفمات التركيّة ويدعون بأدعية الاتراك بل نشروا زورًا الراية البيضاء غير مرّة وكانوا على خلاف ذلك لا يراعون الذين احتموا بظلّها وربّما اطلقوا قذائفهم على الامكنة الخافقة فوقها تلك راية السلم (١ وقد اكّدوا لنا انّ البلغار لم يكتفوا للمهتمين بشؤون الجرحى فصوّبوا اليهم بنادقهم مع كونهم امتازوا عن المحاربين بشريطة بيضاء . فكان هذا العمل سبباً موجباً لاهمال المرضى دون مساعدة والقتلى دون دفن في ساحة الحرب

فترى انّ هذه الحرب كانت حرباً عواناً وانّ البلغار كانوا وطّنوا العزم على استئصال شأفة اعدائهم وقد أتوا من الاعمال الهمجيّة ما يسوّد وجه التمدّن العصريّ كتجهيزهم على الجرحى في ميدان الحرب ودفنهم لبعض المجروحين قبل موتهم وكنهبهم لمدينة ادرنة بعد فتحها فكان الجند يدخلون بيوت الاهلين فيسلبون منها ما شاؤوا بل دخلوا بيوت الاجانب فخطفوا عدّة اشياء ظلماً . وكان الارمن عند دخول البلغار قد استسلموا للفرح وخرجوا بصلبانهم ليستقبلوهم وساعدوهم في النهب والسلب لكنّهم لم يلبثوا ان ندموا على فعلهم اذ وجدوا البلغار لا يرعون لهم جانباً بل اخذوا يغتصبونهم اموالهم ويجرّدونهم من املاكهم . وقد سمعتُ في ادرنة غير واحد من الارمن يقول لي : انّ البلغار ليسوا بتمدّنين ولا اظنّ اننا نفوز بسلام في صحبتهم ولعلّهم يضطرّوننا الى الخروج من ادرنة . وكذلك قد اثبت الرأي العام بانّ البلغار فظاظ الطباع خشان الاخلاق مع ما طُبعوا عليه من البسالة وتُحصّوا به من الحنكة في الآداب الحربيّة . فهم في عهدنا بمثابة الفاتحين في اوّل ظهورهم وقد زادتهم الانتصارات الاخيرة اباء وانفةً . ولذلك ترى اليوم اليونان والسرب قد انقلبوا عليهم بعد ان بروا في محالفتهم

*

قضينا في ادرنة خمسة عشر يوماً لحان وقت الرجوع الى بيروت : ففي ١٦ آب

---

١) ولعلّ عذر البلغار انّ مدافعهم كانت على مسافة ثمانية او عشرة كيلومترات حيث لا يمكن تسديد الضرب بالدقة اللازمة . وقد ضرب البلغار مسجد السلطان سليم الجميل الهندسة لأنّ الاتراك كانوا اتخذوا احدى مناوره كمركز للتلغراف الاثيري . لكنّ الضرر اللاحق بهذا المسجد ليس بعظيم والشائع انّ البلغار يريدون تحويلهُ الى متحف عموميّ

ركبنا القطار من ادرنة ميممين بورغاس على البحر الاسود لما كان وقع من الخلاف بين البلغار واليونان فحُجزت دوننا ثانيةً طريق دهده اغاج. وبتنا ليلةً في ترنوقو سيمن وهي مدينة لطيفة منقسمة الى قسمين كبودابست موقعها على ضفتي نهر مارتزا. وقد عاينّا هناك مناظر الطبيعة الآخذة بالابصار لاسيّما عند طلوع الشمس التي كست تلك الجهات بضيائها المنيرة وأعارتها محاسن بعض الحياء. فرئسنا. وتعرّفنا يومئذ باحد الاطباء العسكريين العثمانيين الدكتور رشيد افندي الازمرلي الاصل كان يخدم عسكر دولته في ادرنة فاسره البلغار في من اسروا وارسلوهُ الى ترنوقو حيث اكتسب ثقة الاهالي بلطف طباعهِ فصار البلغار انفسهم يتعالجون عندهُ

بين تيرنوقو وبورغاس تمتدّ السهول المخصبة والمروج النضرة. فترى الغلّات النامية وضروب المزروعات لا سيّما بقرب مدينة يمبولي حيث يسيل نهر طوجا وهناك يقرّ النظر بمرأى احد جبال البلقان المحلّق في اعالي الجوّ شمالاً

بورغاس مشتقّة من اليونانيّة πύργος وهي مدينة ساحليّة ذات مرفأ حديث متقن تولّت بناءهُ شركة بلجيكيّة والمدينة في طرف جونٍ مستطيل ترى عن جانبيها شمالاً مدينة انكيالوس الصغيرة وجنوباً مدينة سوزوبوليس القديمة. وفي اقصى الجون في البرّ بحيرة ومستنقعات كانت سابقاً متصلة بالبحر. والاثريّون يؤكدون انّ هناك كانت مدن قديمة لما تقذفهُ المياه على اطراف البحيرة من الخرفيّات والمسكوكات والنقود. وقد افادنا المسيو تاكشلا (M^r Tacchella) مدير متحف صوفيا وناظر مكتبتها العموميّة سابقاً واليوم وصيف المسيو هومول (M^r Homolle) في خفريّات بلغارية انهُ كانت قديماً مدينة تدعى اردروم على مقربة من بورغاس زحف عليها الهونيّون في القرون السالفة فقتلوا اهلها ودمّروها ثمّ توالت عليها القرون فطمست آثارها الّا بعض قطع من جدرانها تُرى بقاياها حتى الآن وعلى رأيهِ انهم لو باشروا هناك حفريّات قانونيّة لوجدوا آثاراً جليلة كآثار هركولانوم وپمپاي

امّا سوزوبوليس فقد استخرج عادياتها المسيو دوغران (Degrand) قنصل فرنسا في فيلپي مع المسيو تاكشلا فوجدا آثاراً بديعة منها سبعة نواويس لم تُنهك حرمتُها يرتقي عهدها الى القرن الثاني او الثالث قبل المسيح وكان في ضمنها آنية غاية في الحسن مصوّرة عليها تصاوير دقيقة كصيد الضواري وصورة الاله ابولّون والهات

الفنون الجميلة . وقد بيعت هذه الآنية بمبلغ ١٨٠٠٠ فرنك . وسواحل بلغارية من بورغاس الى فارنة غنيّة بالآثار المطمورة التي لم يكد يمسّها الاثريّون

وقد بلغنا ان ملك البلغار فرديناند ذو خبرة بالغة بالعاديات ولاسيما المسكوكات القديمة التي لديهِ منها مجموعةٌ كبيرة . وهو ينشط الاثريين ويساعدهم في مشروعاتهم . وبهمّتهِ باشروا حفريّات مدينة نيكوپوليس الواقعة مجوار روستشوك . اما السياسة فالملك فرديناند احد اربابهـا المعدودين . قيل انَّ فوز الدول المتحالفة في الحرب البلقانيَّة اليهِ يرجع معظم فضلهِ . ولا ينفصل السياسة عن الشواعر الدينيَّة فانَّهُ في ايام الحرب كثيرًا ما كان يحضر تقدمة الذبيحة الالهيَّة امّـا وقت الهدنة فانَّهُ لم ينقطع عنها يوماً واحدًا . وقد اوصى اهلَ الدين باقامة الصلوات على نيَّة جيشهِ . ومما اثبتهُ لنا الثقة انَّهُ قد اتمَّ واجباتهِ الفصحيَّة في بعض الآحاد التالية لعيد الفصح وكنَّا اجتمعنا في ادرنة بمعلم ذمَّتهِ الاب قوسما (P. Cosme) الكپوشي

بورغاس مدينة صغيرة لطيفة في وسطهـا الحدائق والاشجار هواؤها معتدل وكانت قبل الحرب الاخيرة تتوقَّل معارج الرقي وقد كسدت اليوم سوقها التجاريَّة ولعلَّ فتح البلغار لدده اغاج يضرُّ بمستقبلها فتتحوَّل قريباً الى دده اغاج حركة الاشغال . وبورغاس غنيَّة بالصيد فيصطادون الاسماك من بحرها وبحيراتها ويصطادون الطيور والظباء في غاباتها وجبالها التي هي كمنتهى دعائم البلقان

والكاثوليك في بورغـاس قليلو العدد لا يزيدون على ثماني او عشر أسر من الفرنج المولودين في الشرق . ولراهبات مار يوسف مدرسة كبيرة يتردَّد اليها نحو ١٥٠ فتاةً يتربين على الآداب الفرنساويَّة . امَّا اهل المدينة فزهاء ١٣٠٠٠ نفس اكثرهم من البلغار ثمَّ اليونان . واقلّ منهم الارمن والترك واليهود والتسيغان (النَّور) وقد شاع بينهم لبس الطربوش وكثيرون يتكلمون بالتركيَّة . وليس لليونانيَّة سوق رائجة في بورغاس مع وفرة اليونان . ولعلَّ سبب ذلك نفور البلغار من العنصر اليونانيّ وفي القلوب حزازات لاسيما مذ اغتصبت الدولة البلغاريَّة كنيسة الروم بعد حوادث سنة ١٩٠٥ فاختصَّتها بمواطنيها

صرفنا في بورغاس ثلاثة ايَّام منتظرين سفر الباخرة النمسويَّة سالزبورج ففي يوم الاربعاء ٢١ ايَّار اقلعت باخرتنا التي كان يتقدَّمها دليل بحريّ صيانةً لها من وبال

الالغام الملقاة في البحر الاسود منذ اوّل الحرب البلقانيّة وكانت باخرتنا مثقلةً وسقها من طحين وذرة وجلود واخشاب مع تسعة مدافع من البرونز عيارها ٢٢ سنتمترًا ومدفعين آخرين من مدافع كروب الثقيلة وادوات لرمي القنابل المحشوّة (١)

سرنا نحو ساعة بامان واذا بالسفينة قد ارتفعت بغتةً ثمّ جنحت بشدّة الى اليمين فنظر الركّاب بعضهم الى بعض مرتعبين خوفاً من لغم تكون الباخرة صدمت به على ان هذا الجزع سكن نوعاً لمّا رأوا الضبّاط والنوتيين رابطي الجأش ساكني البال . ثمّ جرت الباخرة مدّة بينما كان اربابها يستوضحون عن الامر فوجدوا انّ الماء قد دخل في قعر الركب واخذ يتزايد حتى اضطرّوا الى تفريغه بالطلمبات وامر الرئيس بنشر الراية المنذرة بالخطر وبالرجوع القهقرى الى ميناء بورغاس مع استحضار قوارب النجاة . فعدنا على رِسْلنا ووصلنا سالمين الى حيث اقامنا شاكرين الله على نجاتنا من الغرق . وبعد البحث تحقّق ذوو الخبرة انّ باخرتنا كانت عثرت في طريقها بسفينة يونانيّة تُدعى اليس (Elisa) كانت قبل سنتين او ثلاث سنوات غرقت بعد خروجها من بورغاس في احد الانواء الشديدة . ومن عجيب الصدف انّنا بتأخرنا عن الرجوع الى الاستانة نجونا من خطر آخر كان اصابنا لا محالة اذ انّنا كنّا ركبنا مركب المسافري « سفيفال » الذي أُصيب بلغم عند دخوله في ميناء ازمير فتعطّلت بعض ادواته

عدنا فقضينا ثمانية ايّام أُخر في بورغاس ريثما افرغت الباخرة شحنها ثم تولّى العمّال اصلاح ما حدث لها من العطل فسدّوا مجاري المياه موقّتاً حتى امكننا في ٢٨ من الشهر ان نستأنف المسير الى الاستانة . وبعد ان رأينا ادرنة مرّة ثانية في حوزة الاجانب وكنّا رأيناها في كانون الثاني سنة ١٨٧٨ تحت سيطرة الروس . خفّف الله عن عباده ويلات الحروب وألهم الدول القناعة بما قسم لهم من الاملاك لهناء رعاياهم

وكان حضورنا لمصاب الباخرة سازبورج خيراً لاربابها لانّهم عرفوا ان ستُقام عليهم دعوى بسبب الحادث المشروح آنفاً فجاء القنصل النمساويّ في بورغاس الى دير الآباء الكبوشيين حيث كنّا مقيمين وطلب الينا بصفة كونه وكيل شركة اللويد النمساويّة

(١) كانت الدولة قد باعت هذه المدافع الثقيلة لاحد اليهود الذي اراد نقلها الى اوربّة فضبطها البولغار لظنّهم انّها من الموادّ المهرّبة ولمّا وقفوا على صحّة الامر اعادوها لصاحبها الذي قصد ارسالها الى تربسته

ان نقدّم لهُ قراراً في حقيقة الواقع نقضيهِ بتوقيعنا فاجبنا الى ملتمسهِ بطيب الخاطر فشكر لنا الوكيل وربّان الباخرة عملنا ايّاهُ شكر

وكان على ظهر هذا المركب مسافراً معنا مطرونوليت قرق كنيسه الروميّ الارثدكسي الذي نال اخيراً بعد فتح المدينة الرخصة بالسفر الى الاستانة ليزور بطريرك القسطنطينية الجديد ويطلعهُ على احوال كنيستهِ بعد الفتح البلغاريّ . واذ كنّا على الباخرة في غرفة واحدة تسنّت لنا معرفتهُ فلقينا منهُ رجلاً ذا لطف ومؤانسة فقضينا مع سيادته ساعات نتكلّم بالروميّة ونتبادل اطراف الحديث حتى انّ الحضور كانوا يقضون العجب اذ يرون احد اساقفة الروم مصافياً لراهب يسوعيّ . وقد اطلعنا سيادتهُ على كثير من امور رعيّتهِ وما قاساهُ الاهلون من الضيقة في مدّة حصار المدينة وكان يشكر الله على انّهُ امكنهُ ان يخفّف وطأة ذلك الخطب عن مواطنيهِ دون مراعاة اديانهم وقد بذل للمسلمين انواع الخدم حتى انّ مفتي المدينة قصدهُ رسميًّا وشكرهُ الشكر الجسيم على مروّتهِ واراد ان يقبّل علانيةً قدميهِ لولا انّ المطرنوليت صدّهُ مراراً عن فعلهِ . فاستنتجنا من ذلك ان رزايا الوطن لم تضعف في قلوب رعايا الدولة شواعر الإخاء والوئام بل زادت تلك الروابط وثاقاً

ولم نتريّث كثيراً في الاستانة فركبنا اوّل باخرة افرنسيّة وجدناها فنقلتنا الى بيروت في اوائل حزيران بعد غيبتنا عنها شهرين بالتمام

مريم اخت لعازر ومريم المجدلية والخاطئة التائبة

بحث كتابي للاب جاك مرنو اليسوعيّ

في ٢٢ من شهر تمّوز احتفلت الكنيستان اللاتينيّة واليونانيّة بعيد قديسة اشتهر اسمها في الانجيل الطاهر وتكرّر ذكرها بين النساء اللواتي نلن نصيباً من سوابغ نعم المخلّص وخدمنهُ في حياتهِ وعُنين بدفنهِ بعد موتهِ وحظين بنعمة رؤياهُ حيًّا بعد قيامتهِ نريد بها القديسة مريم المجدليّة . فاستحقّت بذلك ان تخصّها الكنيسة بالاكرام وتخلّد اسمها في سجلّات اولياء الله

على انَّ ذكر المجدليَّة لا ينفصل غالباً عن قبح سيرة الخاطئة التي ذكرها لوقا وصرفت قسماً من حياتها في الخلاعة والزنا ريثما تحنَّن عليها الربّ وألهمها اعمال التوبة النصوح فأتت الى بيت الفريسيّ سمعان الابرص حيث دهشت قدمي يسوع بالطيب وبلَّتهما بدموعها ومسحتهما بشعر رأسها

وزد عليهِ انّ ذكرها يُحيي ذكر اخيها لعازر اذ ثالث مع اختها مرتا ان يقيم الربّ شقيقهما من القبر كما انهما ضافتا في بيتهما غير مرَّة السيّد المسيح في بيت عنيا

تلك امور تخالج عقل المؤمنين لدى ذكر مريم المجدليَّة ولا يكادون يفكرون في انَّ هناك مشكلاً طالما شغل بال المفسّرين الذين لا يعلمون أمريم المجدليَّة هي في الحقيقة اخت لعازر ومرتا أو هي تلك الخاطئة التائبة التي وصفها لوقا في بيت الفريسيّ عند اقدام فادي البشر. أفتصدُق الحوادث المرويَّة في الاناجيل المقدَّسة عن مريم واحدة او عن ثلث نسوة اتَّفقن في بعض الامور واختلفن في غيرها ؟. فلترجيح احد الرأيين لا بُدَّ من عرض الخلاف الذي وقع في ذلك بين الكتبة الكنسيّين في القرون الاخيرة ثمَّ نعود بالنظر الى نصوص الاناجيل المقدَّسة لننظر ما يستفاد من آياتها. واخيرًا نستفتي الآباء ومعلّمي الكنيسة مع ما ورد من الشواهد في الكتب الطقسيَّة شرقاً وغرباً لعلَّنا نقف على حقيقة الامر

١ اطوار الجدال

بقي العالم النصراني مدَّة نحو الف سنة لا يكاد يرتاب في وحدة تلك النسوة الثلث ولم يحرّك كاتبٌ ساكناً في هذا الصدد حتى قام كاتب افرنسيّ يُدعى جاك لوفافر من ايتابل (Jacques Lefèvre d'Etaples) فنشر سنة ١٥١٦ كتاباً عنوانهُ « مريم المجدليَّة » ارتأى فيهِ : اوَّلاً انَّ مريم اخت مرتا ومريم المجدليَّة مختلفة كلتاهما عن الخاطئة. وثانياً انهُ من الواجب التفريق بين الثلث في الكتب الطقسيَّة. وتأييدًا لرأيهِ اثبت عدَّة شواهد لاقدم الآباء كاوريجانس ويوحنا فم الذهب وامبروسيوس وايرونيموس بخلاف القديسين الذين اتوا بعدهم كغريغوريوس الكبير وبيدا المكرَّم وبرنردوس الذين ارتأوا التوحيد بين الثلث دون داعٍ موجب. اما آيات الانجيل فلم يوجد فيها دليل قاطع على انَّ هناك امرأةً واحدة بل الاحرى ان يقال انَّها تفرّق بينهنَّ بما تثبت لكل منهنَّ من الخواصّ المختلفة

كان لهذا الكتاب صدًى ورنّة في انحاء الغرب فماكسهُ معظم علماء العصر ومن جملتهم اسقف روشستر الانكليزي يوحنا فيشر الذي فنّد كتاب جاك لوفافر سنة ١٥١٨ فنشر تأليفهُ المشون بالمجدليَّة الواحدة (de unica Magdalena) فغلب رأيهُ على رأي لوفافر حتى انَّ الكتب اللاهوتي في باريس انتصر لهُ واصدر حكماً هذا منطوقهُ « يجب تفضيل رأي القديس غريغوريوس الكبير لمزيد انطباقهِ على نصوص الاناجيل وعلى شواهد الآباء والآثار الطقسيَّة ومن ثمَّ نقضي بتحريم الكتب التي تخالف هذا التعليم » فوقع هذا الحكم موقع الاستحسان وأهمل رأي لوفافر الايتاپلي

وبقيت الامور على حالها نيفاً ومئة سنة حتى استأنف الجدال سنة ١٦٣٦ عالمٌ مفضال كان كنشلياراً لكليَّة دواي (Douai) وهو اللاهوتي استيوس (Estius) الشهير بتآليفهِ . وكان المذكور استفتى المجمع الروماني في الامر وقدَّم لفحصهِ كتاباً وضعهُ في التمييز بين المريمين والخاطئة فكان جواب المجمع انَّهُ مأذون بنشر كتابهِ . وكذلك وافقهُ على زعمهِ بعض علماء كليَّة باريس دون القسم اللاهوتيّ منها الذي بعد مقاومتهِ لهذا الرأي لم يرَ بُدًّا من التساهل في اثبات الرأي المخالف

وكان القسم الثاني من القرن السابع عشر زمنَ بحثٍ وتعمُّق في العلوم الدينيَّة والتاريخيَّة فكانت مسئلة المجدليَّة من جملة الابحاث التي انعم فيها المحققون نظرهم ليستدلُّوا على الرأي الصحيح فتحفَّز قومٌ من فطاحل العلماء من بندكتيين ويسوعيين كابيليون (Mabillon) وبولندوس (Bollandus) منشئ جمعيَّة البولنديين وغيرهما فراجعوا كل اثار الكتبة الكنسيين في اوائل النصرانيَّة ودقَّقوا البحث في الطقوس القديمة الشرقيَّة والغربيَّة فقام الجدال على ساق بين العلماء فمن سالبٍ ومن موجب ومن موحِّد ومُثَلِّث ومثلِّث . ولم يكتفوا بالجدال بل ارادوا اصلاح الكتب كما فعل هاردوين (Hardouin) رئيس اساقفة باريس الذي نشر كتاب الصلوات القانونيَّة سنة ١٦٨٠ وغيَّر ما كان في الكتاب السابق بخصوص المجدليَّة ففرَّق بينها وبين مريم اخت لعازر ثم الخاطئة . فأثار كتابهُ اهواء القوم حتى خطَّأهُ بعضهم وصوَّبهُ البعض الآخر وكان من جملة الذين ذهبوا الى مذهبهِ البندكتي الشهير دون كالمات (Don Calmet) في كتابٍ اودعهُ لباب علمهِ الواسع . وخالفهم غيرهم في رأيهم

فوحّدوا المريمين والخاطئة ولم يصوّبوا اصلاح الكتب الطقسيّة لجلالها كالاب البولندي سوليار (Sollier) في اعمال القديسين. وكأنّ وطيس الجدال قد خمد بعد ذلك لما ألفت رومية الطقوس الخاصّة ببعض الابرشيّات وتقرّر بدلًا منها الطقس الرومانيّ الذي كاد يعم انحاء اوربّة وهذا الطقس الرومانيّ يتبع رأي القديس غريغوريوس في توحيد المريمين والخاطئة

٣ فحص آيات الاناجيل بخصوص المريمين والخاطئة

دونك ما ورد في الاناجيل من الآيات التي عليها محور الجدال . ورد في متى (٢٦ : ٦ — ١٣) وفي مرقس (١٤ : ٣ — ٩) ذكر امرأة لم يصرّح الانجيليّان باسمها فاخبرا أنها دخلت قبل الفصح والفطير بيومين في بيت سمعان الابرص في بيت عنيا حيث كان يسوع متّكئاً فكسرت قارورة طيب من سنبل الناردين وافاضته على رأس يسوع واذ غضب قوم من التلاميذ لفعلها اثنى الربّ على صنيعها كأنّها سبقت وطيّبت جسده للدفن

وكذلك روى الانجيليّان (متى ٢٧ : ٥٦ و٦١ ثم ٢٨ : ١ — ١٠ ومرقس ١٥ : ٤٠ و٤٧ ثم ١٦ : ١ — ١٠) وجود مريم المجدليّة التي كان قد اخرج منها الربّ سبعة شياطين عند صليب يسوع وقت موته ثمّ في دفنه مع غيرها من النساء. وظهور السيّد المسيح لها وحدها ومع بقيّة النساء بعد قيامته

وجاء في لوقا (٧ : ٣٦ — ٥٠) ذكرُ امرأة خاطئة أتت الى يسوع باكيةً تائبة. اذ كان متّكئاً في بيت فريسيّ يدعى سمعان فوقفت عند رجلَي يسوع وبلّتهما بدموعها ومسحتهما بشعر رأسها ودهنتهما بالطيب . ولمّا فكّر الفريسيّ في نفسه كيف يمكن ان يكون يسوع نبيًّا اذ لو كان به لعلم انّ تلك المرأة خاطئة فكشف الربّ دفين افكاره وبيّن له بمثل المُداين المسامح لمديونَيه انّ تلك المرأة الخاطئة مع وفرة خطاياها قد استحقّت الغفران لعظم ايمانها ومحبّتها ثم اطلقها بسلام

وروى لوقا عن مريم المجدليّة (٨ : ٢ — ٣) انّها كانت من جملة النساء اللواتي ابرأهنّ يسوع من ارواح شرّيرة وامراض فتبعنه مع الرسل ليبذلنّ من اموالهنّ في خدمته وانّ مريم المجدليّة هذه اخرج منها سبعة ارواح شرّيرة

وهو لوقا ايضاً الذي اخبر (١٠ : ٣٨ — ٤٢) كيف يسوع دخل قرية فقبلته

امرأة اسمها مرتا كانت مهتمة باعمال الضيافة لتحسن استقبالهُ وانَّها كانت لها اخت اسمها مريم كانت جالسة عند قدمي يسوع تسمع كلامهُ . واذ لامتها مرتا امام يسوع لعدم مساعدتها في الخدمة اثنى الربّ على مريم قائلًا : انَّها اختارت النصيب الاصلح

وفي الفصل الرابع والعشرين منهُ (ع ١٠) ذكر انَّ مريم المجدليَّة كانت مع النساء اللواتي رأين الملائكة عند قبر المسيح فاخبروهنّ بان الربّ قد قام كما قال

امَّا يوحنا فكرَّر ذكر مريم اخت مرتا ولعازر في الفصل الحادي عشر من انجيلهِ حيث روى قيامة لعازر من الموت في بيت عنيا . ثمَّ اردف في الفصل الثاني عشر ذكر العشاء الذي صنعوه ليسوع في بيت عنيا ستَّة ايَّام قبل الفصح فخدمتهُ مرتا . امَّا مريم فاخذت رطل طيب من سنبل الناردين فدهنت بهِ قدمي يسوع ومسحت قدميهِ بشعرها فتشكك يهوذا الاسخريوطيّ من هذا العمل كانَّهُ إسراف باطل فمدح المسيح تقواها قائلًا : انَّما حفظت ذاك الطيب لدفنهِ

ثمَّ ذكر يوحنا كبقيَّة الانجيليين (١٩ : ٢٥) وقوف مريم المجدليَّة عند صليب يسوع . كما روى بعد ذلك (٢٠ : ١ و ١١ — ١٩) ورودها الى القبر وتفصيل ظهور الربّ لها في هيئة البستاني وكلامهُ اليها والى التلاميذ بواسطتها

هذه كافَّة النصوص التي ورد فيها ذكر مريم اخت لعازر من بيت عنيا ومريم المجدليَّة والخاطئة التائبة . وعليها بنى اصحاب التوحيد والتمييز بينهنَّ رأيهم فلنسمع ادلَّة الفريقين كليهما

يقول (اصحاب التمييز) ان هذه الآيات لا تصدق عن امرأةٍ واحدة بل عن ثلاث نسوة اذ ليس نصٌّ صريح يثبت ان مريم اخت لعازر هي مريم المجدليَّة وان احدى المريمين هي الخاطئة التي غفر السيّد المسيح خطاياها لا بل يفرق الانجيليُّون بينهنَّ اذ ينسبون الى كلّ واحدة اعمالًا خاصَّة بها

ويردف هؤلاء على قولهم برهانًا آخر فيقولون : قد اعتاد يوحنا الانجيليّ في ذكر الأعلام زيادة ايضاح ان وُجدت ثمَّ شبهة او التباس بين الاسماء فاذا ذكر يهوذا اخا يعقوب صرَّح بقولهِ (يوحنا ١٤ : ٢٢ : « يهوذا غير الاسخريوطيّ » واذا اورد اسم سمعان قال (٦ : ٧١) : « سمعان بطرس » دفعًا للالتباس مع سمعان الآخر تلميذ يسوع . وان وجد اسمان لشيء واحد ذكرهما كقولهِ (١١ : ١٦ و ٢٠ : ٢٤) :

« توما الذي يسمّى التوأم » فلو كانت مريم المجدليّة هي مريم اخت مرتا ولعازر لما سكت عن ذلك بل كان نوّه اليه حذرًا من سوء الفهم على الأقلّ مرّة واحدة . فسكوتهُ دليل على ان هناك مريمَين

ومثلهُ لوقا فانهُ اعتاد التدقيق في رواياتهِ للاسماء حيث فرق (٦ : ١٤—١٦) بين « سمعان الذي دعاهُ بطرس وسمعان المدعو الغيور » وبين « يهوذا اخي يعقوب ابن حلفى ويهوذا الاسخريوطي » وبين اليعقوبين « ابن زبدى وابن حلفا المعروف باخي الربّ ». وفعل لوقا مثل ذلك في سفر الاعمال (١ : ١٣) أفلا يكون من العجب ان يذكر امرأةً واحدة فتارةً يسهو عن اسمها (الفصل ٧) ولا يدعوها الّا باسم الخاطئة وتارةً يدعوها باسم مريم اخت مرتا من بيت عنيا (الفصل ١٠) وتارةً يدعوها مريم المجدليّة دون ان ينبّه القرّاء الى وحدة المسمّيات

لا بل من يمعن النظر في نصوص لوقا يتأكّد انهُ اراد ثلثة اشخاص فانهُ بعد ذكرهِ للخاطئة التائبة في احدى مدن الجليل نائيم او كفرناحوم يذكر مريم اخت لعازر في بيت عنيا من مدن يهوذا ويذكرها كأنهُ لم يرِ شيئاً عنها سابقاً فقال (١٠ : ٣٩) : « وكانت لهذه اختٌ تُسمّى مريم » فانّ عبارة مثل هذه لا تُقال الّا لمن ورد ذكرهُ لاوّل دفعة — وكذلك عند ذكرهِ مريم الثانية فانّ لوقا اذا خصّها بالذكر (٨ : ٢ — ٣ و ٢٤ : ١٠) ألحق اسمها بنسبتها « المجدليّة » فان كانت هي اخت لعازر لما سها عن ذكر الامر

ويأتي المدافعون عن تثليث النساء بدليل آخر فيقولون لو كانت مريم المجدليّة هي الخاطئة المذكورة في لوقا (ف ٧) لما كان سمح لها السيد المسيح بان تتبعهُ مع بقيّة النساء الصالحات التي ابرأهنّ فتبعنهُ ليمسنّ بخدمتهِ وخدمة رسلهِ لانّ ذلك كان اثار على الربّ بغض الفريسيين وعلّل شكواهم عليهِ بدخول امرأة خاطئة في خدمتهِ مع انّنا لا نجد احدًا قرّف السيد المسيح بذلك فسكوت انجيلهِ دليل على انّها غيرها

*

هذه ادلّة المثلّثين فترى انّها لا تخلو من القوّة . امّا (الموحّدون) للنسوة الثلث فيعتمدون قولهم على وحدة اسم مريم وعلى بعض التشابه في ما يرويهِ الانجيليّون في نصوصهم فيقولون انّ هذا كافٍ للدلالة على انّ المسمّى واحد . فمن حججهم : ١ انّ

اخ ئنة المذكورة في لوقا (ف ٧) اراقت الطيب على قدمي يسوع ومسحتهما بشعر رأسها كما فعلت مريم اخت لعازر على رواية يوحنا (١١ : ٢ و١٢ : ٣). ٢ يصرّح الانجيليان مرقس (١٦ : ٩) ولوقا (٨ : ٣) بان السيد المسيح كان قد اخرج من المجدليّة سبعة شياطين فهي اذن الخاطئة. ٣ ان الخاطئة اراقت طيبها على قدمي يسوع في بيت سمعان الابرص كما اتّفق عليه متى ومرقس ولوقا وقد صرّح يوحنا باسم الفاعلة فدعاها مريم اخت مرتا. ٤ ويقولون ان مريم اخت لعازر كانت تدعى بالمجدلية لانّها كانت لها املاك في مدينة مجدل فنُسبت اليها وانّ المسيح سمح لها بان تخدمهُ بعد توبتها

على انّ اصحاب التمييز يردّون على هذه الحجج بقولهم انّ إراقة الطيب على قدمي يسوع قد حدث غير مرّة مع اختلاف ظروف المكان والزمان والاشخاص فلا يجوز نسبة الامر الى واحدة. اما قول الانجيليين مرقس ولوقا بان المجدليّة اخرج منها السيد المسيح سبعة شياطين فلا يثبت كونها هي الخاطئة الثانية لانّ الله يسمح بان الشياطين تدخل في اجساد اناس ليسوا بخطأة. وكذلك لا يُستنتج كون الخاطئة والمجدليّة واحدة لانّ كليهما دهنت قدمي يسوع في بيت سمعان اذ هو محتمل ان رجلين دُعيا بهذا الاسم لانّ لوقا لا يدعوهُ بالابرص كما فعل متى ومرقس لكنّهُ يدعوهُ فريسيًا ويجعل اراقة الطيب زمناً طويلاً قبل متى ومرقس اللذين عيّنا لذلك يومين قبل الفصح. ومثلها اراقة الطيب لمريم اخت لعازر كانت مختلفة الاحوال فجرت ستّة ايّام قبل الفصح كما روى يوحنا وذلك في بيت الاختين في بيت عنيا ليس في بيت سمعان. وكذلك يرتاي المبرّون للنسوة ان الموحدين يقولون جزافاً بان مريم اخت لعازر دُعيت بالمجدليّة لأملاك لها في مجدل. فانّ هذا تخمين وحدس فقط كقولهم ايضاً انّ المسيح سمح لها بخدمته بعد توبتها

فيتبيّن ممّا سبق انّ لمسألة التمييز بين النسوة الثلث سنداً كافياً في النصوص الانجيليّة وان لم يكن فصلاً جازماً

٣ التقليد الكنسي والطقوس

بقي علينا ان نستفتي ما ورد في هذا الصدد في بطون التواريخ الكنسيّة واقوال الآباء والتآليف الطقسيّة ما يرجّح رأياً على آخر ولا بُدّ من تنبيه القرّاء انّ

اختلاف الآباء والطقوس في هذا الامر لا يمسُّ المعتقدات بل هو امر تاريخي عرضي امكن المفسّرين ان يتباينوا فيه كما جاز للكنائس ترجيح رأي على آخر

(الاسكندريون) اقدم الآباء الذين تكلّموا عن النسوة الانجيليّات اقليمس الاسكندري في اواخر القرن الثاني الّا انّ تفسير هذا الكاتب كلّهُ مجازيّ مبنيّ على الرموز ومن ثمّ لا يمكن الاستشهاد بهِ وان وحّد بين الثلث

وأصرح منهُ في ذلك اوريجانوس المعلّم لكنّ هذا تصرّف في رأيهِ فتارةً يجعل النسوة ثلثاً بل اربعاً لئلّا يُنسَب الى الاناجيل اقوال متضاربة وتارةً يوحّد بينهنّ فيزعم انّ يوحنا اخذ اقوال بقيّة الانجيليين فأتمّ نُقصها . وقد زعم في ميمرهِ الثاني على شرح نشيد الانشاد انّ نصوص الاناجيل لا تتكلّم الّا عن امرأتين فقط . فاختلافهُ في آرائهِ يدلّ على انّهُ وجد في الاناجيل مشكلاً لم يأخذ على نفسهِ حلّهُ

وكذلك لا يؤخذ برهان قاطع من تفسير القدّيس كيرلّس الاسكندريّ الذي ميّز في شرحهِ على انجيل يوحنا بين وليمة لوقا والولائم المهيّأة ليسوع في بيت عنيا ولكن سكت عن وحدة او كثرة الدهانات بالطيب قدمي يسوع

(الآباء اللاتين) المعلّم ترتوليان اوّل من بحث بينهم عن الامر فوحّد بين النسوة وبين كلّ الولائم وذلك وفقاً لتعليمهِ الاواطيقيّ بخصوص التوبة ومنح الغفران للتائبين مرّة واحدة فقط وعليهِ لا يجوز اتخاذهُ كسند

وبعدهُ كتب ايلاريوس في القرن الرابع وذكر النسوة في شرح انجيل متّى ولكن دون ترجيح رأي على آخر

وتبعهما القديس امبروسيوس الذي يجعل الامر تحت شكّ وريب في شرحهِ على لوقا فقال انهُ من المحتمل انّ الخاطئة التي دهنت قدمي يسوع كما اخبر لوقا ليست هي التي اراقت طيبها على رأسهِ كما روى متى ومرقس

ولمعاصرهِ القديس ايرونيموس شرحان متباينان شرحٌ مجازيّ في مقدّمتهِ على نبوّة هوشع يوحّد فيهِ النسوة الثلث . وشرحٌ حرفيّ وذلك في شرحهِ على متى يفرق فيهِ بينهنّ او بالحري يجعلهنّ امرأتين المطيّبة قدمي يسوع والمغسلتهما بدموعها وهي الخاطئة والمهريقة طيبها على رأسهِ وهي غير تلك . فمن ثمّ ترى كلّ فئة من الموحّدين والمثلثين

للنسوة المكللات بالشهادة بقول ايرونيموس ولكن كان الشرح الثاني الحرفي مفضلاً على الشرح المجازي

ومثلهم اوغسطينوس الكبير الذي في كتابه عن توفيق الانجيليين رجّح وحدة النسوة الثلث ثمّ عاد في شروحه على انجيل يوحنا وابدى شكوكه في الامر . ومن اقواله في تردّده قوله في احد مياميره : «انّ بيت لعازر كان خالياً من الاثم فانّ الصلاح كان في قلب مرتا وكذلك كانت مريم صالحةً وان كان الاثم ولج يوماً في ذلك البيت فانّ الربّ بدخوله اليه قد ابعد عنهُ كلّ اثم »

(الكنيسة السريانيّة واليونانيّة) إمام الكنيسة السريانيّة هو القديس افرام وهو من انصار التوحيد بين المريمين والخاطئة وذلك بكلام جليّ لا يبقي ريباً قالهُ في احد مياميره

وعلى خلاف ذلك القديس يوحنا فم الذهب فانّهُ يفصل بين الخاطئة ومريم اخت لعازر بقوله انّ الاولى كانت بلغت بخطاياها الى قعر الذلّ واماّ الثانية فكانت امرأة فاضلة جديرة بالاكرام

فيتّضح من كلّ هذه الاقوال انّ الكتبة الكنسيّين لم يعرفوا شيئاً باتّاً بخصوص المريمين والخاطئة وكلّهم يرجعون الى نصوص الانجيل ولو ثبت لهم دليل من التقليد او التاريخ لما ضربوا عنهُ صفحاً

فيبقى شاهد (الطقوس) . وممّا لا يُنكر ان صلوات الطقس اللاتيني الراقية الى القرن السادس والى القديس غريغوريوس الكبير تكرّر مراراً في فرضها ورتبة قداسها انّ الخاطئة والمجدليّة واخت مرتا كانّ امرأة واحدة . وبعكس ذلك الكنيسة اليونانيّة التي صلواتها وفرائضها اقدم من الفرض اللاتينيّ فانّها تميّز ثلاث نسوة وتعيّد لكلّ منهنّ في يوم خاصّ ففي سلخ اذار تذكر الخاطئة التائبة وفي ١٨ منهُ تعيّد لمريم اخت لعازر من بيت عنيا وتفرد اليوم ٢٢ من تموز لمريم المجدليّة . الّا انّها في الميناون تشير الى ما تشترك فيهِ المريمان فتدعو مريم المجدليّة حاملة الطيب كمريم اخت لعازر

فترى ان الطقوس كبقيّة الشواهد متذبذبة ايضاً لا تأتي ببرهان قاطع . فيجوز للمفسّرين ان يغلّبوا رأياً على رأي كما يشاؤون

على انَّ الشائع اليوم في اعتقاد اكثر المؤمنين انَّ اقوال الاناجيل تصدق على امرأة واحدة. ولعلَّ شيوع هذا الرأي انما حصل بواسطة الوعَّاظ الذين يتَّخذون ارتداد الخاطئة وسيلةً للحضّ على التوبة التي تغيّر قلوب اعظم الخطأة فتجعل الزانية نفسها عزيزةً على الله الذي يتبرَّع على التوبة النصوح بأثمن المواهب واسبغ النعم وينسى كلّ ما اجترحهُ صاحبها من الكبائر كما غيَّر السيد المسيح قلب اللصّ اليمين وادخلهُ معهُ الفردوس يوم وفاتهِ

البرهان الصريح

في اثبات ألوهيَّة المسيح

ردًّا على مجلَّة المنار للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الرابع

ألوهيَّة المسيح في آداب حياتهِ

قد بلغ السيّد المسيح ذروة حياتهِ. انتشع النهام الذي كان يحجبهُ في الناصرة. اعلن بسموّ مقامهِ صوتُ الآب الذي جعل فيهِ كلّ مسرَّتهِ وحاول الروح القدس عليهِ على شكل الحمامة. قام يوحنَّا بالشهادة للاهوتهِ امام بني اسرائيل فتوارى من بعد اذانها كما تتوارى الكواكب لدى طلوع الشمس

فها هي ذا شمس البرّ قد برزت من وراء الافق "كالعروس الخارج من حجلته تبتهج كالجبَّار للعَدْو في السبيل من اقاصي السماء خروجها والى اقاصيها دورانها وليس من يتوارى عن حرّها" (مز ١٨: ٥—٧). وانَّما نور هذه الشمس السماويَّة وحرّها هما اللاهوت الذي كان في شخص المسيح الكريم ومهما لطَّفت الطبيعةُ الانسانيَّة نور اللاهوت وحرَّهُ فكان لا بُدَّ للالوهيَّة ان تلوح ايضاً من وراء حجاب الناسوت

فعلينا في هذا الفصل ان نعتبر سيرة السيّد المسيح وآداب حياتهِ فنبيّن ان تلك

الآداب ليست آداب انسان محض بل هي اعمال اله وفضائل تفوق على كلّ قدسة بشريّة وتثبت كونهُ ابن الله الحيّ النازل من السماء لخلاص العالم

ان حياة الانسان لا تخلو ان تظهر في ثلاثة مظاهر اوّلًا في علائقهِ مع الاله ثمّ في تصرُّفهِ مع القريب واخيرًا في سلوكهِ الخاصّ واعمالهِ الشخصيَّة فان احسنَ في هذه المواطن الثلثة ولم يخلّ فيها البتة ادرك الكمال. على انَّ البشر قلّما يرقون اوج الكمال وان بلغوهُ لم يبلغوهُ الّا بعد النقص المتوالي وبعد المشقَّة وكدّ النفس

فألقِ بنظرك رعاكَ الله الى تاريخ البشر واستقرِ سيرة مشاهير الرجال في كلّ امَّة وكلّ بلاد لا تجد بعد البحث والتنقيب رجلًا واحدًا جمع فيهِ كلّ المناقب الطيّبة دون نقص ولا عيب لا بل ترى كثيرين من اولئك المشاهير اشتهروا بسيّئاتهم اكثر منهم بصلاح اعمالهم وفضائل حياتهم . فمن يا ترى بين اولئك المبرّزين قد جمع في نفسهِ كلّ السجايا الحميدة من سموّ عقل وعلم واسع واخلاق رَيضة وكرم وشهامة واقدام ورقّة طباع فان حصل الواحد على نصيب منها عُدَّ محظوظًا . وهيهات ان ترى واحدًا قد تفرّد بشيمٍ وخلال لا يُرى فيها ممزوجًا شيءٌ من النقص . وان خصصت بالنظر الآباء والانبياء رأيت ايضًا انَّ فضائلهم محصورة في بعض الاعمال لا تشمل كلّ صنف من الصلاح والبرّ . اذ ليس كامل الّا الله

على انَّ هذا الكمال قد اراد الله ان يُريَهُ للعالم مرَّة واحدة وذلك في شخص ابنهِ الالهيّ الذي وحدهُ بلغ منتهى الكمال فاقرَّ بهِ اعداؤهُ ولو مرغومين

اوّل ما قصدهُ السيّد المسيح في حياتهِ ان يكون قدوةً للبشر في تُقى الله واكرام الخالق فاظهر في ناسوتهِ اسمى الفضائل التي يُسرُّ بها نظر الآب السماوي . وقد سمعناهُ وهو في الثانية عشرة من عمرهِ يذكّر مريم ويوسف انَّ هذه هي دعوتهُ « ان يكون فيما هو لابيهِ » (لوقا ٢ : ٤٩) . وهي الغاية التي وجّه اليها كلّ اعمال حياته أن يكرمهُ تعالى « ويبذل نفسهُ قربانًا وذبيحةً لله رائحة مَرْضيَّة » (افس ٥ : ٢) تفوق على كلّ القرابين والذبائح المقدَّمة لله . فعن لسانهِ كان قال النبي داود (مز ٣٩ : ٧ — ٩ وعب ١٠ : ٧) : « ذبيحةً وتقدمةً لم تشأ . . . حينئذٍ قلتُ : هاءنذا آتي . . لاعمل بمشيئتك يا الله »

فقدَّم السيّد المسيح لله ابيهِ كلّ قوى عقلهِ وذهنهِ ونفسهِ كأطيب المحرقات .

ولذلك تراهُ في كلّ اعمالهِ لا يطلب الّا رضى الآب واتمام مشيئتهِ كما صرّح بذلك غير مرّة فقال في انجيل يوحنّا (٨ : ٢٩) : « انيّ افعل ما يرضيهِ كلّ حين » وكذلك قال لليهود (يو ٥ : ٣٠) : « اني لستُ اطلب مشيئتي بل مشيئة الاب الذي ارسلني » . ولمّا لقيهُ تلاميذهُ مع المرأة السامريّة عند بئر يعقوب ودعوهُ ليأكل ممّا ابتاعوهُ في المدينة قال لهم (يو ٤ : ٣٢ — ٣٤) : « انّ لي طعاماً آكلهُ لستم تعرفونهُ انتم . . . انّ طعامي أن اعمل مشيئة من ارسلني وأُتمّم عملهُ » . وهذه مشيئة الآب قد جعلوا نُصب عينهِ في كلّ تصرُّفهِ حتى في ساعة نزاعهِ في بستان الزيتون حيث صرخ ثلاثًا : «لا تكن مشيئتي بل مشيئتُك» . وقد شهد بولس الرسول على تضحية المسيح مشيئتهُ لابيهِ حيث قال عنهُ (روم ١٥ : ٣) : « انّ المسيح لم يُرضِ نفسهُ »

وكما انهُ لم يطلب في كلّ اعمالهِ غير رضى الله كذلك لم يطلب مجد نفسهِ بل تمجيد الاب فقط كما قال لليهود (يو ٨ : ٥٠) : « انا لا اطلب مجدي » . وامكنهُ ان يقول بلءِ الثقة في آخر حياتهِ (يو ١٧ : ٤) في صلاتهِ الى ابيهِ : « انا قد مجّدتك على الارض واتممتُ الذي اعطيتني لأعملهُ » وعلى خلاف ذلك قد بكّتَ الفريسيين ووبّخهم على قلّة ايمانهم لانهم لم يطلبوا مجد الله بل مجد الناس كما قال لهم (يو ٥ : ٤٤—٤٥) : « كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تطلبون المجد بعضكم من بعض ولا تبتغون المجد الذي من عند الله وحدهُ »

ولم ينفصل السيّد المسيح تمجيد الله عن محبّتهِ التي كان صرّح انّها اوّل الوصايا وأعظمها فعرّفها بقولهِ (متى ٢٢ : ٣٧) : « أحبب الرب الهك بكل قلبك وكلّ نفسك وبكل ذهنك » . فكانت محبّتهُ للآب محبّة ابرّ البنين واصدقهم حبًّا لأنّهُ كما قال (يو ٨ : ٥٥) كان « يعرفهُ ويحفظ كلامهُ » . وقد اظهر هذه المحبّة في كلّ ظروف حياتهِ ولا سيما لمّا طلب منهُ الآب ان يضحّي نفسهُ لاجل البشر فاجاب بطيب القلب الى وصيّتهِ وقرّر ذلك بقولهِ (يو ١٠ : ١٧—١٨) : « من اجل هذا يحبّني الآب لاني ابذل نفسي عن خرافي . هذه وصيّة قبلتُها من ابي » . ولمّا حان وقت السير الى الآلام والموت لم يستنكف عنهما بل قام وذهب الى حيث كان يعلم ان سيطلبهُ اعداؤهُ للموت فقال لتلاميذهِ (يو ١٤ : ٣٠) : « ليعلم العالم اني احبُّ الآب واني كما اوصاني الآب هكذا اعمل قوموا ننطلق من ههنا »

وهذا الحبّ العظيم الذي اضطرم بهِ قلب السيد المسيح نحو ابيهِ هو الذي كان يدفعهُ الى ان « يعتزل في القفار ويصلّي » كما اخبر لوقا (٥ : ١٦) ومرقس (١ : ٣٥) وكثيراً ما كان « يخرج الى الجبل ليُصلّي ويقضي ليلَهُ في الصلاة الى الله » كما لوقا (٦ : ١٢) ويوحنا (٦ : ١٥) وذلك على « حسب عادتهِ المألوفة » كما صرّح بهِ لوقا (٢٢ : ٣٩)

وهذه المحبّة نفسها لله كانت تحدو بهِ الى ان يقدّم كلّ ما يؤول الى مجد الله ونشر خدمتهِ . وكان اذا رأى احداً يخلّ بذلك غار لله كما فعل لمّا رأى الباعة والصيارفة ينتهكون لحرمة الهيكل (متى ٢١ : ١٢) « فاخرج جميع الذين يبيعون ويشترون في الهيكل وقلب موائد الصيارفة وكراسيّ باعة الحمام وقال لهم : مكتوب بيتي بيتَ صلاةٍ يُدعى وانتم جعلتموهُ مغارةَ لُصوص »

وكذلك غضب على الكتبة والفرّيسيين وانذرهم بالويلات (متى ٢٣ : ١٣—٣٦) لانّهم ضيّعوا شريعة الله لتغليب سُنَنهم البشريّة وللفوز باغراض شخصيّة سافلة

وكان في ما خلا ذلك يكرم السلطة الدينيّة ويقوم بكل فرائضها . كما كان يفعل اذا ابرأ البرص (لوقا ٥ : ١٤ و١٧ : ١٤) فكان يأمرهم بان يُروا نفوسهم للكهنة على حسب سنّة موسى ويقرّبوا القرابين المفروضة لذلك . بل تلطّف واجاب الى طلبة شيوخهم لمّا سألوهُ ان يبرئ غلام قائد المئة (لو ٧ : ١—٩) وألحّوا عليه قائلين لهُ : « انهُ يستحقّ ان تصنع لهُ هذا لانهُ يحبُّ أمّتنا وقد بنى لنا مجمعاً »

وكان في كلامهِ الى جمهور الشعب يأمرهم بالاصغاء الى كلام الكتبة والفرّيسيين وان كانت اعمالهم غير مطابقة لتعاليمهم وذلك لجلوسهم على كرسيّ موسى فقال (متى ٢٣ : ٢ — ٣) : « ان الكتبة والفريسيين جالسون على كرسيّ موسى فمهما قالوا لكم فاحفظوهُ واعملوا بهِ واما مثل اعمالهم فلا تعملوا لانّهم يقولون ولا يفعلون »

وقد اراد في آلامهِ ان يظهر اكرامهُ لسلطة رئيس الاحبار وذلك لمّا استحلفهُ بالله ان يقول لهم هل هو المسيح ابن الله (متى ٢٦ : ٦٣) فاجابهُ السيّد المسيح بكل رزانة « انهُ هو » مع علمهِ بانّ جوابهُ سيكون سبباً للحكم عليهِ بالموت

وقد ختم السيد المسيح حياتهُ باعظم دليل على قنوتهِ لعزّة الله اذ « أسلم روحهُ

بين يدي ابيهِ » (لوقا ١٣ : ٤٦) وذلك في الساعة عينها التي ضحّاهُ الآب السماوي فداء عن آثامنا واشعرهُ ببغضهِ للخطيئة التي لبس المسيح شبهها حبًّا بنا حتى كاد لا ينظر اليهِ فصرخ يسوع مردّدًا آية المزامير (٢١ : ١) : « إلهي إلهي لماذا تركتني »

فترى انَّ السيد المسيح كان قدوةً سامية للتقى ولكل الفضائل التي يستطيع الانسان ان يمارسها في خدمة إلههِ ومن ثم استحقَّ أن يؤدي لهُ الآب الشهادة على رضاهُ التامّ بهِ قائلًا « متى ٣ : ١٧) : « هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سُررتُ ». فهيهات هيهات ان ترى في العالم من جاراهُ في اكلهِ للآب السماوي وإنجاز كلّ وصاياه حتى انهُ « لم يخلّ بنقطة واحدة من الناموس حتى اتمَّ الكلّ » (متى ٥ : ١٨) و « من امتلائهِ نحنُ كلُّنا اخذنا » (يوحنا ١ : ١٦)

*

ذلك كان كمال ابن الله في عبادتهِ وتقاهُ وتسبيح اللاهوت . فماذا نقول الآن عن كمال اعمالهِ مع القريب فانَّ فيها من الصفات الفريدة ما لا يشقُّ غبارهُ انسان على الارض مهما عظمت درجة فضلهِ

اوّل دليل على حبّ السيد المسيح للبشر تجسُّدهُ ونزولهُ من السماء لاجل خلاصهم كما صرح بذلك (يو ٣ : ١٦) : « هكذا احبَّ الله العالم حتى انهُ بذل دونهم ابنهُ الوحيد » . ولم يلزم مدَّة ثلاثين سنة من حياتهِ الخمول والذلّ والطاعة والشغل الشاقّ الّا ليعلّم جميع البشر ولاسيما العَمَلة ان يقدّسوا حياتهم العاديَّة واعمالهم اليوميَّة التي لا يعتبرها الناس وهي امام الله تستحقُّ ثواباً عظيماً ان قدّسها الانسان بالنيَّة الصالحة وصبر على اتعابها وبلاياها

وقد لاحت فضائل المسيح في اعين العالم خصوصاً في سني كرازتهِ ودعوته . وذلك في معاملاتهِ لكل طبقات الناس

اختار كتلاميذهِ رجالًا امّيين جهلاء يرتزق اكثرهم بالصيد والاشغال المادّيَّة فأخذ يعلّمهم ويثقّفهم ويعدُّهم الى دعوةٍ ما كانت لتخطر على بالهم . فكم قاسى من الاتعاب ليزيل اوهامهم ويُصلح نقائصهم وليبذر في قلوبهم الفضائل التي لم يألفوها فتارةً يبكّتهم على ترفّعهم وطلبهم للرئاسة (متى ٢٠ : ٢٢ ولوقا ٢٢ : ٢٥) ويذكّرهم انهُ هو السيد جاء ليَخدُم لا ليُخدَم . وتارةً يرفع عقولهم عن الماديّات

لئلا يصرفوا همتهم الى المأكل والمشرب والملبس. (مرقس ٨ : ١٣ ومتى ٦ : ١٣) . وحيناً يردّهم عن طلب الانتقام (لوقا ٩ : ٥٤ — ٥٥) وهو في كلّ احوالهم يحتمل فظاظة طباعهم ويصبر على جهلهم وقلّة ادراكهم وفشلهم وذلك حتى آخر حياته بل بعد قيامته (مرقس ١٦ : ١٤)

اختلط مع الجموع فعُني بشؤونهم وابرأ امراضهم وشفاهم من عاهاتهم واقام موتاهم واخرج منهم الارواح النجسة واحتمل لجاجتهم اذ كانت الجماهير المجمهرة تُقبل اليه من اليهودية وفلسطين والشام وفينيقية والمدن العشر وما وراء الاردن (متى ٤ : ٢٤ — ٢٥ لوقا ٦ : ١٧) فكانوا يحدقون به لينظروه ويسمعوا تعاليمه وربّما ملأوا البيوت التي يدخل اليها (مرقس ٢ : ٢ ولوقا ٨ : ١٩) ولا يدعون له وقتاً ليأكل خبزاً (مرقس ٣ : ٢٠) وكان « كلّ من به داء يتهافت عليه ليلمسهُ » (مر ٣ : ١٠) ويزحمونهُ (مر ٥ : ٢٤) ويمكثونهُ لئلا يذهب من عندهم (لوقا ٤ : ٤٢) وهو مع كلّ ذلك حليم صبور لا يفوه بكلمة تنبئ عن ضجره او قلّة صبره بل يتمّ بالحرف ما كتب عنهُ النبيّ (اشعيا ٤٢ : ١ — ٣ ومتى ١٢ : ١٨ — ٢٠) : « هوذا فتاي الذي اخترتهُ حبيبي الذي سرّت بهِ نفسي أجعلُ روحي عليهِ فيخبر الامم بالحكم. لا يماري ولا يصيح ولا يسمع احدٌ صوتهُ في الشوارع قصبةً مرضوضةً لا يكسر وكتّاناً مدخّناً لا يطفئ حتى يُخرج الحكم الى الغلبة » . ومن ثمّ كان الربّ يتحنّن على الجموع القادمة لاستماعهِ ويبذل نفسهُ لخدمتهم . وكان اذا رآهم في البرّيّة لا يريد ان يصرفهم الى منازلهم دون طعام « لئلا يخوروا في الطريق » (مرقس ٨ : ٣) ولذلك اصطنع مرّتين تلك المعجزة العظيمة لمّا فات ألوفاً من الجوع بخبزات قليلة واسماك زهيدة (متى ١٦ : ٨ — ١٠) لكنّ تحنّنهُ عليهم كان اعظم اذا رأى اسقامهم الادبيّة « كأنهم كانوا معذّبين منطرحين مثل الخراف التي لا راعي لها » (متى ٩ : ٣٥)

وكان قلبهُ الحنون يميل خصوصاً الى الضعفاء والمنكوبين فيدعوهم بالطف الدعوات التي لم يخرج مثلها من فم بشر قبلهُ فيقول (متى ١١ : ٢٨) : « تعالوا اليّ يا جميع المتعبين والمثقلين وانا أريحكم » وكانت هذه الدعوة تشمل حتى الصغار والاحداث « فكان يضع يديه عليهم ويصلّي قائلاً : « دعوا الصبيان ولا تمنعوهم

لأنَّ لمثل هؤلاء ملكوت السماوات » (متى ١٩ : ١٣ — ١٤)

وكان حنان قلبهِ اعظم واوسع للخطأة ليجذبهم الى التوبة والاستغفار من خالقهم . والانجيل مملوء من الشواهد على رقّة قلب يسوع على هؤلاء الساكين . فمن يستطيع ان يقرأ ما ورد من ذلك في سيرة المسيح دون ان يتفطَّر قلبهُ شكرًا على رحمتهِ نحو متى العشَّار (متى ٩ : ٩ — ١٣) ونحو زكَّى رئيس الجباية (لوقا ١٩ : ١ — ١) ونحو المرأة السامريَّة (يو ٤ : ١ — ٢٧) ونحو الخاطئة الباكية عند قدميهِ (٧ : ٣٧—٤٧) . وقد صوَّر السيِّد المسيح رحمتهُ نحو الخطأة في تلك الامثال العجيبة التي تؤثر في القلوب الجلمودية عينها كمثل الخروف الضالّ والدرهم المفقود والابن الشاطر (لوقا ف ١٥) . وكان لا يخاف من لوم الفريسيين فيمتزج بالعشَّارين والخطأة ويقبل دعوتهم ليكسب ثقتهم ويصلح سيرتهم . قال لوقا (١٥ : ١—٢) : « وكان العشَّارون والخطأة يدنون منهُ ليسمعوهُ فتذمَّر الفريسيُّون والكتبة قائلين : ان هذا يقبل الخطأة ويأكل معهم » امَّا الربّ فكان يفحمهم بقولهِ (لوقا ٥ : ٣١) : « لا يحتاج العافون الى طبيب لكن ذوو الاسقام اني لم آت لادعو صدّيقين بل خطأة الى التوبة » . وبانت بهِ رحمتهُ الى ان اطلق سبيل الزانية دون ان يحكم عليها (يو ٨ : ١٠) بعد ان كشف لشُكاتها آثامهم قائلًا : « من كان منكم بلا خطيئة فليبدأ ويرجمها بحجر » لكنَّهُ اوصاها بالّا تعود تخطئ

ولم يقصر الرب حسن معاملتهِ على الصغار والخطأة بل وجَّه عنايتهُ الى كلّ النفوس حتى الفريسيين والصدوقيين وكافَّة اعدائهِ فكان لا يأنف من ان يكلمهم ويباحثهم ويكشف لهم اسرار ملكوت الله واذا دعاهُ احد منهم الى بيتهِ اجاب الى دعوته فأكل عند الفريسيين غير مرَّة (لو ٧ : ٣٦) مع كونهم كانوا يرقبونهُ ليأخذوهُ بكلمة . واذ اتى واحد منهم اليه ليلًا وهو نيقوديموس قبلهُ وأعلن لهُ باسرار ملكوت الله (يو ٣ : ١—٣٥ و١٩ : ٣٩) حتى تتلمذ لهُ كيوسف الرامي (يو ١٩ : ٣٨) . وكذلك الصدوقيُّون فانَّ السيد المسيح ردَّ ضلالهم في قيامة الموتى بكل لطف (متى ٢٢ : ٢٩) اذ رآهم جهلاء لا يدركون حقائق الايمان

ومما امتاز بهِ السيِّد المسيح في تصرُّفهِ مع الناس انهُ كان يعطي كل ذي حقّ حقَّهُ دون محاباة للوجوه ولا مراعاة للاشخاص فلا يطلب رضى الاولياء ولا فضل

الاغنياء بل يجعل نفسهُ كـ... لكلّ ليربح الكلّ لابيهِ . كشف خبث هيرودس (لوقا ١٣ : ٣٢) وعلّم الطاعة لتبصر في ضمن الزمنيّات (متى ٣٢ : ٢١) دعا ارباب الثروة الى الكمال ودلّهم على طريقهِ (متى ١٩ : ٢١) كما انّهُ أثنى على ارملة ألقت فلسين في الخزانة (لوقا ٢١ : ١ — ٤) كسر من زهو الفريسيين المتكبّرين واطرأ تواضع العشّار (لوقا ١٨ : ١٠ — ١٤) صنع المعجزات لعلاج كل المستومين ولم يشأ ان يصنع آيةً امام هيرودس ليخلّص نفسهُ بل لم يُجبهُ بكلمة مفضّلًا هزءهُ على موافقته في فضوله . دفع الجزية لجباة الدرهمين مع كونهِ حرًّا لئلّا يشكك الناس (متى ١٧ ٢٢ — ٢٦)

فترى انّ السيد المسيح كان مثال الكمال في سيرتهِ مع البشر كما كان قدوتهم في تُقى الله وعبادتهِ تعالى . ولو اردنا شاهدًا آخر لا يُنكر على كمالهِ في تصرّفه مع البشر كفانا بهِ في شهادات اعدائه عليه فانّهم لم يجدوا ليشكوه في محاكمهم وامام بيلاطس والي الرومان الّا شهادات زور عرف كلّ كذبها الّا ما صرّح هو ذاتهُ به علانيةً اعني كونهُ ابن الله

*

بقي ان نبيّن كمال السيّد المسيح في مظهر ثالث وهو حياتهُ الشخصيّة والفضائل التي مارسها في عيشته الخاصّة واعمال حياته الفرديّة فنقول :

انّ الانسان اذا ما خالط بني جنسهِ وشخصت اليهِ ابصارهم لرفعة مقامه بينهم ربّما موّه عليهم وحلّى نفسهُ بثوب مستعار يحجب عن العيون نقائصهُ الطبيعيّة حتى اذا انجلى عنهُ الناس وعاد الى سيرتهِ اليوميّة خلع عنهُ ذاك الرداء وعرفهُ اصحابهُ كما هو بلا بهرج ولا زخرف باطل

ومن امعن النظر في حياة السيّد المسيح الخصوصيّة وجدهُ بلغ كمالها كما ادرك كمال الصلاح في خدمة اللاهوت والتصرّف مع العالم

نبذ السيد المسيح في عيشتهِ كلّ رفاهية ونعمة واختار الزهد والعيشة الشظفة . افتتح دعوتهُ بصوم عجيب دام اربعين يوماً واربعين ليلةً فشعر بالجوع . ثم شاطر تلاميذهُ مآكلهم البسيطة التي اعتادوها مع فقرهم من خبز شعير واسماك يصطادونها او كان يعيش معهم من بعض صدقات يُحسن بها اليهِ نساء صالحات ذكرهنّ لوقا (٨ : ٣)

كان يقاسي اتعاب الاسفار فيطوف البلاد ماشياً ليبشّر فتراهُ جالساً عند بئر يعقوب وهو تعبان من السير (يوحنا ٤ : ٦) وكان لبسهُ بسيطاً خشناً ورداؤه غير مخيط (يوحنا ١٩ : ٢٣) . اما مسكنهُ فكان يختلف على اختلاف من يضيفهُ في بيتهِ حتى انهُ قال (لوقا ٩ : ٥٨) : « انَّ للثعالب اوجرةً ولطيور السماء اوكاراً واما ابنُ البشر فليس لهُ موضع يُسند اليهِ رأسهُ »

وكان مع زهدهِ وتقشف عيشهِ يأنف من كلّ كبر وجاه عالميّ ويستنكف عن كلّ عظمة وترفُّع حتى انهُ كان في وسط تلاميذهِ كالذي يَخدُم (لوقا ٢٢ : ٢٧) . بل كان يقول (متى ٢٠ : ٢٨) : « انَّ ابن البشر لم يأتِ ليُخدَم بل ليَخدُم » وقد اثبت ذلك فعلاً غير مرَّةٍ ولاسيما في العشاء السرّي حيث غسل ارجل تلاميذهِ وامكنهُ ان يجعل نفسهُ قدوةً في تواضعهِ حيث قال (متى ١١ : ٢٩) : « تعلَّموا مني اني وديع ومتواضع القلب » . ومن ثمَّ لمَّا علم انَّ الشعب ارادوا ان يختطفوهُ ويقيموهُ ملكاً انصرف عنهم للحال الى الجبل وحدهُ (يوحنا ٦ : ١٥)

وقد حملهُ تواضعهُ الى الطاعة مع كونهِ هو الربّ والسيد بل اطاع في حياته وموته كما قال الرسول (فيليبي ٢ : ٣) عنهُ انهُ « اذ كان في صورة الله لا يعتدُّ مساواتهُ لله اختلاساً اخلى ذاتهُ آخذاً صورة عبدٍ . . . فوضع نفسهُ وصار يطيع حتى الموت موت الصليب »

لكن ذاك التواضع الذي التحفَ ابنُ الله بشواعرهِ لم يكن ليثنيهُ عن بذل نفسه لاجل البشر . فحينما سرت رأيتهُ قدوةً لذاك التفاني العجيب في سبيل حاجات الجموع ومداواة كافَّة اسقامهم حتى ان كلًّا منهم كان يستطيع تكرار آية الرسول القائل (غلاطية ٢ : ٢٠) : « أحبَّني ابنُ الله وبذل نفسهُ لاجلي » كما ان الربّ يسوع امكنهُ ان يعرض نفسهُ كمثال التجرُّد وجحود النفس حيث قال (متى ١٦ : ٢٤) : « من اراد ان يتبعني فليكفر بنفسه ويحمل صليبهُ ويتبعني » وقد ختم حياتهُ بتقدمة نفسه للموت عن احبَّائه وهي اقصى حدود المحبَّة كما قال (يو ١٥ : ١٣) . ووضع نفسهُ من تلقاء ذاته دون ان يغصبهُ على ذلك احد وهو القائل (يو ١٠ : ١٧ — ١٨) : « من اجل هذا يحبُّني الآب لاني ابذل نفسي لآخذها ايضاً ليس احد يأخذها مني ولكنني ابذلها باختياري ولي سلطان ان ابذلها ولي سلطان

أن آخذها ايضاً ». فاتمّ طوعاً ما فاه به قيافا رئيس الكهنة بروح النبوّة (يو ١١ : ٥٠) قائلاً : « أنكم لا تعرفون شيئاً ولا تعتقاون انهُ خير لكم ان يموت رجل واحد عن الشعب ولا تهلك الامّة كلها » ولذلك تراهُ سائرًا الى الموت بكل طيب قلب دون ان يصنع شيئاً ليتقذ نفسهُ من تلك العذابات والاوجاع التي كانت تنتظرهُ وكان سبق فوصفها لتلاميذهِ في كلّ تفاصيلها (متى ٢٠ : ١٩)

فهذا الزهد وهذه الضعة وتلك الشهامة العجيبة كلّ ذلك كان مقروناً بطهارة وقداسة حياة ليس وراءها من مزيد . وكان يشعر تلاميذهُ بذلك البرّ العظيم فيصرخون كبطرس (لو ٥ : ٨) : « أخرج عني يارب فاني رجل خاطئ » او كتائد المئة (متى ٨ : ٨) : « يارب لستُ مستحقًا ان تدخل تحت سقف بيتي » . ومع ما كان الفريسيّون والكتبة يخترعونهُ من الشكايات الباطلة في حقّه لم يخفْ ان يحتجّ على كذبهم علانيةً ويفحمهم بقوله (يو ٨ : ٤٦) : « مَنْ منكم يثبت عليّ خطيّة » . فهذا لعمري كلام لا يقولهُ الّا من وثق من نفسه تمام الفضل والبراءة لاسيما بازاء قوم معاندين يطلبون ادنى هفوة ليلهكوه . بل اقرّوا بكماله في كل اعماله غير مرّة كقولهم (مرقس ٧ : ٣٧) : « لقد احسن فيما صنع » ومثل ذلك قال تلميذا عموا (لو ٢٤ : ١٩) : « كان يسوع الناصريّ رجلًا نبيًّا ذا قوّة في العمل والقول امام الله والشعب كلّه » وكقول صاحب سفر الاعمال (١٠ : ٣٨) : « اجتاز يسوع يُحسن الى الناس »

فليقم الآن كل مُنصف وليقُلْ لنا أيوجد في العالم ام وُجد قطّ مثالٌ من قداسة الحياة وطهر السريرة كمثال السيّد المسيح . نعم اننا لا ننكر انهُ وُجد احياناً قدّيسون عظام شهدت التواريخ على سامي فضائلهم ولكن اين ذلك من قداسة السيد المسيح التي من فيضها نالوا ومن نورها اقتبسوا وان كانوا اضحوا قدوة لغيرهم بحسن اعمالهم فما ذلك الّا لكونهم تعقّبوا آثار المسيح فكلّ منهم يقول كبولس الرسول (١ كور ٤ : ١٦) : « اسألكم ان تقتدوا بي كما اقتدي انا بالمسيح » . ولولا المسيح لأضحكهم عبء خطيئتهم فيصرخون كالرسول عينهِ (روم ٧ : ٢٠) : « الويل لي انا الانسان الشقيّ من ينقذني من جسد الموت هذا »

والحقّ يقال ان يسوع وحدهُ المثال الكامل الخالي من كلّ نقص الذي اعطاهُ

الله للبشر ليقتدوا به ويرسموا في قلوبهم فضائله. فانَّ الآب السماوي اذ أسمع صوته من السماء قائلاً « هذا هو ابني الحبيب » اردف ذلك بقوله « اياه اسمعوا » اراد به على ما شرحهُ الآباء ان تُصغي الى تعاليمه وتقتفي بآثاره . لانَّ الله يوم الدين سيميِّز مختاريهِ على حسب الشبه الذي يراهُ بينهم وبين ابنه الالهي كما قال الرسول (روم ٨ : ٢٩) : « انَّ المختارين الذين سبق الله فعرَّفهم سبق فحدَّد ان يكونوا مشابهين لصورة ابنهِ حتى يكون بكرًا ما بين اخوة كثيرين »

ثم انَّ الربَّ يسوع نفسهُ لم يأت في حياتهِ كلَّ ضروب الفضائل الَّا لنقتدي بها فيقول لنا كما قال لتلاميذهِ (يو١٣ : ١٥) : « اني اعطيتكم قدوةً حتى انَّكم كما صنعتُ انا بكم تصنعون انتم ايضاً » وكما قال ايضاً (متى ١١ : ٢٩) : « تعلَّموا مني . . . »

وقد جرت الكنيسة على هذا التعليم فانَّها في كلِّ اسرارها وكلِّ ارشاداتها وكل عنايتها لا تنوي الَّا امرًا واحدًا ان تطبع صورة المسيح في اولادهـا فتقول لكلِّ منهم قول الرسول (غلاطية ٤ : ١٩) : « يا بُنيَّ الذين اتمخَّضُ بهم مرَّةً أخرى الى ان يتصوَّر المسيح فيهم »

فلذلك ترى انَّ شخص المسيح منذ ظهر في جبال يهوديَّة قد اضحى قُبلة كلِّ الشعوب. اليه توجَّه كلُّ النفوس بأبصارها لتقتدي به بحيث يجوز ان يقال ان كل ما ظهر من الصلاح منذ عشرين جيلًا على الارض اصلهُ المسيح . وقد اقرَّ بذلك احد كبار الزنادقة انفسهم . قال ڤولتير إمام الملحدين : « ليس بين كلِّ الحكماء الاقدمين رجلٌ واحد امكنهُ ان يؤثِّر في آداب الذين يقطنون في حيِّه قريباً منهُ امَّا السيد المسيح فانَّهُ اثَّر في العالم كلِّه (١) »

فهذا هو المثال الذي قصد الاقتداء به الحواريُّون لمَّا طافوا العالم وتجشَّموا كل الاخطار ليقيموا دعوتهُ . هو المثال الذي نصبهُ امام عيونهم الوف الالوف من الزهاد في البراري والقفار فنبذوا الغنى والملذَّات وعاشوا في جسم بشريٍّ عيشة ملائكيَّة .

---

١) هذا هو كلامهُ في الحرف Aucun sage n'a eu la moindre influence sur les mœurs de la rue qu'il habitait, et Jésus-Christ a influé sur le monde entier (Voltaire)

هو المثال الذي سند الشهداء الذين أدّوا للمسيح شهادة الدم في كل انحاء العمور فساروا الى الموت سَيْرَهم الى ألذّ الولائم واشهى المسرّات . هو المثال الذي استنزل الملوك عن عروشهم لينقطعوا الى اعمال البر . هو المثال الذي يريد التشبُّه به ذاك العدد الموازي لكواكب السماء من الرهبان والراهبات الذين يتفانون في تلطيف كل الاسقام البشريّة من معالجة امراض شتى كالعلّ والبرص والجنون وخدمة العجزة وحضانة اللقطاء وتربية الايتام وتهذيب الناشئة

وكما كان المسيح مثال كل الازمنة هو ايضاً قدوة كل اطوار حياة الانسان فالى يسوع الطفل ينظر الصغير في حجر والدته وباسمه يلهج اذا تحرّك لسانه وحذوَهُ يحذو اذا بلغ سنَّ الرشاد . ثمَّ يسلك مناهجهُ اذا ترعرع ويأتسي بامثاله اذا بلغ أشُدَّهُ وخاض غمرات الحياة وساوَرَتْهُ خطوب الزمان . يجد الفقير فيه اسوةً في ضنك عيشه وبنوره يستضيء الغنيّ لئلّا يجعل في الغنى أملهُ . العَمَلة يقتفون معالمهُ ليقدّسوا اشغالهم اليوميّة . والانمة يهتدون به ليحسنوا رعية مرؤوسيهم ويعاملوهم مثلهُ بالرفق والرحمة والاناة . آثارَهُ يقتفيها الرهبان في زهدهم . وعلى مثاله يجاهد المضطهدون والمجرَّبون من العالم والشيطان . تحت كنفه يدخل الوالد في ميدان الحياة وبين يديه يسلّم المدنفون على الموت ارواحهم بكل ثقة

وهيا بحث الانسان على سرّ هذه القوّة العجيبة لا يجدها الّا في لاهوت يسوع فلو كان المسيح انساناً محضاً لأصبح اسمهُ منذ قرون عديدة نسياً منسيًّا وتراهُ كل يوم يزداد عظمة وارتفاعاً في اربع خوافق العالم اذ « ليس بأحدٍ غيره الخلاص لانهُ ليس اسمٌ آخر تحت السماء معنوحاً للبشر به يخلصون » (اعمال ٤ : ١٢) . فلا بُدَّ « ان تجثو لهُ كلُّ ركبةٍ مما في السماوات وعلى الارض وتحت الارض ويعترف كلُّ لسان انَّ الرب يسوع المسيح هو في مجد الله ابيه » (فيلبي ٢ : ١٠-١١) (لهُ بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

E. J. W. GIBB MEMORIAL : XVI., TA'RIKH-I-JAHAN GUSHA OF JUWAYNI, ed. by Mirza Muhammad Qazwini, 1912, XCIII-٢٩٢+ ٥٤٨ = XIX THE GOVERNORS AND JUDGES OF EGYPT BY EL-KINDI ed. by. Rhuvan Guest,. 1912, pp. 72 + ٦٨٣ = XX THE KITAB AL-ANSAB OF AL-SAM'ANI, reproduced in facsimile by D. S. Margoliouth, 1912. 7 + ff 603

مطبوعات جديدة لجمعيّة جب

هذه ثلاثة كتب نفيسة اتحفتنا بها عمدة الجمعيّة المنسوبة الى جيب وقد انتهت من طبعها حديثاً

(الاوّل) تاريخ فارسيّ عنوانهُ جهان گشای اي فاتح الدنيا لعلاء الدين عطا ملك جوينيّ المولود سنة ٦٢٣ هـ (١٢٢٦ م) المتوفى سنة ٦٨١ هـ (١٢٨٣ م) احد كتبة ملوك المغول . ضمّنهُ تاريخ جنكزخان وغزواتهِ وفتوحاتهِ في القرن الثالث عشر . وتاريخهُ معدود في جملة اصدق الآثار لكثرة علمهِ واختلاطهِ بالاعمال الديوانيّة وقربهِ من الامور التي حاول وصفهـا . وهذا الكتاب قد استفاد منهُ عدّة مؤلفين اوربيين اخصّهم البارون دأوهسن (B^on C. d'Ohsson) لكنّهُ لم يُنشر سابقاً منهُ الّا فقرات فاستحقّت لجنة جيب شكر المستشرقين بطبعها الكتاب على ذمّتها طبعاً متقناً . وقد عُني بنشر الاصل احد علماء فارس محمّد مرزا القزوينيّ . وزادهُ نفعاً جناب الاستاذ برَون (E. G. Browne) بتصحيحهِ وتقديمهِ عليهِ المقدّمات الواسعة بالانكليزيّة والفارسيّة لتعريف المؤلف ووصف تاريخهِ والمخطوطات الباقية منهُ . وقد ذُيّل النصّ الفارسي بالروايات وأُلحق بفهارس لاعلام الرجال والاماكن والقبائل وللكتب المذكورة في التاريخ . فجازى الله خيراً كلّ من سعى بنشرهِ وكمال اهيتهِ

والكتاب (الثاني) اعظم شأناً لاهل بلادنا وهو كتاب الولاة وكتاب القضاة لابن عمر محمّد الكندي وصفنا قسماً منهُ طُبع سابقاً في نيويرك بهمّة جمعيّة مكميلان ومساعي الدكتور كونيغ (راجع المشرق ١٢ (١٩٠٩) : ٢٣٠) وقد نبّهنا هناك انّ العالم الانكليزي غست (R. Guest) يُعنى ايضاً في طبعهِ وها هوذا قد انجز عملهُ فجاءت طبعتهُ كاملةً لا ينقصها شيء من اسباب الكمال . فالقسم العربيّ قد نُشر

في مطبعتنا على ورق صفيق وبحرف مشرق مع ملحوظات عديدة في ذيل الكتاب وملحقات فريدة من كتب عزيزة الوجود . ضاعفت فوائد الاصل وهو اقدم تاريخ يُعرف لمصر ولولاتها في القرون الاولى للهجرة . وهناك مقدّمات انكليزيّة غاية في الافادة طُبعت في لندن ولم ينس حضرة ناشر الكتاب ان يزين كتابهُ بالفهارس الواسعة وبجدول الالفاظ الغريبة التي وردت في تاريخ الكندي . وفيه ايضاً خارطتان بديعتان تعينان على مراجعة اسماء البلدان التي ذكرهـا المؤلف في مصر وفي بقيّة المملكة العبّاسيّة فهما قلنا في اطراء الكتاب كان دون حقّهِ

اما الكتاب (الثالث) فهو ايضاً من اجلّ الكتب وانفعها وهو كتاب الانساب للقاضي ابي سعيد عبد الكريم السمعانيّ (٥٠٦—٥٦٢ هـ = ١١١١ —١١٦٢م) . فؤلفهُ الشهير يتتبع الاعلام على حروف المعجم ويضبط انسابها ويذكر من اشتهروا بالنسبة اليها . وهو كتاب ضخم ينيف على ١٢٠٠ صفحة وفي الصفحة ٣١ سطراً ناعماً فلو طُبع على الحروف لاتى عدّة مجلدات فنشرتهُ جمعيّة جيب بالصورة الفوتغرافيّة على نسخة المتحف البريطاني بعناية المستر اليس (A. G. Ellis) ناظر الديوان الهندي (India Office) في لندن وقدّم عليهِ الاستاذ مرغليوث مقدّمة انكليزيّة في اربع صفحات . ولكن لسوء الحظ تنقصهُ الفوائد التي في بقيّة مطبوعات جيب من فهارس وملحوظات ولعلّهم يفعلون بعد ذلك جعلهم الله موردًا للعلوم ل . ش

Mgr Douais, ÉVÊQUE DE BEAUVAIS : La Communion des Enfants à l'âge de discrétion. *Bloud et Cie, Paris,* 1913. pp. 78

مناولة الاحداث البالغين سنّ الرشاد

لمّا اصدر سنة ١٩١٠ المجمع المقدّس بمصادقة الحبر الاعظم بيوس العاشر القرارات التي بدؤها (Quam singulari) المختصّة بالمناولة الاولى الواجب منحها للاحداث عند بلوغهم سنّ الرشاد رأت بعض الكنائس في هذا الامر غرابةً الّا انّ اللاهوتيين وعلماء التاريخ الكنسي تلقّوهُ بلّ الفرح واثبتوا مطابقتهُ التامّة لتعليم الانجيل الطاهر وللتقاليد الكنسيّة القديمة . ومنّ كتبوا في ذلك المناشير البليغة الواسعة السيّد دواي اسقف بوفه في فرنسة فكان لكلامهِ احسن وقع بين اكليروس وطنهِ وسائر الكاثوليك . فانّهُ لم يدافع فقط عن صوابيّة اوامر الكرسي

الرسولي وموافقتها لآيات الاسفار المقدسة وعادات الكنيسة الاولى بل اثبت ايضاً ما ينجم عنها من سوابغ النعم لحفظ براءة اولئك الصغار الذين دعاهم السيد المسيح اليه وزجر تلاميذه لما ردوهم عنه . فان جسد الرب هو للاحداث انجع دواء لما فيهم من الاميال المنحرفة وافضل وسيلة لصون طهرهم وطبع الفضيلة في قلوبهم وعليه يجب على الوالدين وعلى المعلمين والآباء الروحيين ان يمتثلوا احكام المكرسي الرسولي بكل دقة وينبذوا كل العادات الجارية على خلافها ويسهلوا للاولاد عند بلوغهم سن التمييز التقرب من ذاك السر المحيي والمن الالهي الذي يقوي نفوسهم ويرد عنهم غارات العدو الجهنمي وهو يسعى في ذاك المقام الحرج ان يستطهم في اشراكه . فنشكر السيو باود لطبعه هذا المنشور على صورة كتاب ادخله في مجموعه المعنون بالابحاث اللاهوتية . لكننا لحظنا في كلام سيادته انه نسب الى بعض الكنائس الكاثوليكية في الشرق جريها على عادة مناولة الاطفال قبل ادراكهم سن التمييز (ص ٢ و٦٥) وهو امر قد بطل منذ زمن طويل كما هو معلوم الاب ج . لوقناك

Herr D. W. Myhrman's Ausgabe des Kitâb Murid an Niʿam wa Mubid an Niqam kritish beleuchtet von K. V. Zetterstéen, *Upsala and Stockholm*, 1913, pp. 64

انتقاد طبعة كتاب سيد النعم ومبيد النقم للسبكي

ذكرنا سابقاً في المشرق سنة ١٩٠٩ (١٢ : ٤٧٤) طبع هذا السفر الجليل وعناية طابعه في نشره . وقد دوّن المستشرق تستستين عدة ملحوظات مفيدة انتقاداً على هذه الطبعة بعد مراجعتها على نسخ خطية وها هو قد نشرها لافادة الذين يحبون التدقيق والضبط في هذه الآثار القديمة . وسيتلقى العلماء هذه الانتقادات بالشكر لصاحبها

كتاب التعليم الصغير

بقلم الاب يوسف علوان اللعازري

مطبعة ا. موريس وشركائه بالاسكندرية (ص ١١٥)

يستفاد من مقدمات هذا التعليم انه الجزء الاول من مختصر الديانة للصفوف الاولية المأمور به من قداسة البابا بيوس العاشر لجميع ابرشيات اقليم رومية وانه نشر

بامر سيادة النائب الرسولي للاتين والقاصد الرسولي للشرقيين. فكفى بذلك شاهدًا على ضبط معلوماته وقد زاد حضرة المعرّب عليه بعض الملحوظات في ذيله . وكان الجدير به ان يزيد في الصفحة ٥٨ تنبيهاً الى الترخيص للمرضى بالمناولة دون الصوم بعض الاحيان اذا طال مرضهم او وجب عليهم شرب الدواء . اما الصوم الذي اوجبهُ (ص ٨٣) على الشرقيين منذ سنّ التمييز فليس هو مقرَّر وعلى كلّ حال قد اتفق آباء مجمع الشرقة والاقباط على تعيين السنة ٢١ للقيام بفريضة الصوم ل.ش

تاريخ الحرب البلقانيَّة

بقلم سليم العنَّاد . الجزء الاوَّل يشتمل على خريطتين و١٤ رسماً
مطبعة الهلال بالفجَّالة سنة ١٩١٢ (ص ١٢٣)

انَّ الحرب البلقانيَّة التي انفجر بركانها في العام الماضي ولا يزال حتى الآن يُسمع دويُّها المرعب اوقفت انظار العالم كلهِ وقد احبَّ اهل بلادنا لو جُمعت تفاصيلها في كتاب منفرد يُرجع اليهِ في ماجريَّات تلك الحرب . فاجابةً لمرغوبهم نشر الكاتب الاديب سليم العنَّاد هذا التاريخ وقدَّم عليه فصولًا مفيدة في تعريف شبه جزيرة البلقان واقسامها ووصف الامم التي تتزاحم في ملكها من بلغار وصرب ورومان والبان وجبليين ويونان . ثمَّ تخطَّى الى شرح اسباب الحرب الاخيرة بعيدةً كانت كالمسألة الشرقيَّة او قريبةً كهضم حقوق المتحالفين . حتى بسط بعد ذلك احوال المتحاربين من جيوش وقوَّاد وأدوات حربيَّة . والقسم الاخير من الكتاب يشتمل الوقائع التي جرت بعد اعلان الحرب بين الاتراك والمتحالفين ولا سيما البلغار وينتهي بفتح قرق كليسه ووصف المعارك المنتشبة في اواخر تشرين الاوَّل والعشر الاوَّل من تشرين الثاني . وقد زاد المؤلف كتابهُ حسناً بما اودعهُ من خرائط الحرب وصور ملوك الحلفاء واركان الجيوش مصدَّرة بصورة « الأرخ الكبير جورجي بك زيدان منشئ مجلَّة الهلال » الذي قدَّم لهُ المؤلف كتابهُ تنويهاً بفضله ل . ش

الاعتقاد تجاه العقل والعلم

مجموع خطب ألقاها في بيروت سنة ١٩١١ الخوري لويس دريان
الجزء الاوَّل . طُبع في مطبعة النهضة (بيروت) ص ١٥٦

كنَّا اثنينا على قسم من هذه الخطب التي نشرها سابقاً حضرة المؤلف وهو اليوم

قد انجز ما بقي منها وهي ثلث خطب نفيسة في الدين الطبيعي والدين الوحي والديانة المسيحيَّة جعلها كتتمَّة البناء الادبي الذي اراد تشييدهُ في العقول بعد وصفه الارتياب العصري واثباته لوجود الخالق وبيانه الوفاق بين العقل والعلم . وقد لزم الخطيب في كل هذه الخطب خطَّة واحدة اي تأييد مواضيعه بالادلَّة العقليَّة والنقليَّة والردّ على اعتراضات المعترضين وذلك على طريقة مصاقع الخطباء مازجاً بين اللذيذ والمفيد . القريب والبعيد . البسيط والبليغ مع تفكيه المخيلة بالتشابيه البتكرة وتحريك العواطف بالامثال المنيرة والاوصاف المؤثرة فهذه الخطب حريَّة بان تكون في ايدي كل من يرغب في معرفة اصول الدين الثابتة واركانه المتينة . وفي عدد آخر نذكر ان شاء الله مجلَّتهُ المقرونة « بالرسالة » التي نرحب بها هذه المرَّة فقط ل . ش

كتاب الفلسفة النظريَّة

للكردينال مرسيه . عرَّبهُ وعلَّق حواشيه الخور اسقف نعمة الله ابي كرم

قسمان : المجلَّد الثالث في علم اليقين = المجلَّد الرابع في علم النفس

طُبع في المطبعة البلديَّة على نفقة الاديب يوسف صادر ويباع في المكتبة العموميَّة (١٩١٢)

سُرَّ السوريون عموماً والمارنة خصوصاً بترقية سيادة الخور اسقف نعمة الله ابي كرم حديثاً الى درجة الاسقفيَّة في رومية العظمى بعد ان تولَّى فيها بضع سنوات رئاسة المدرسة المارونيَّة بحكمة ودراية وكنَّا عرفناهُ قبلها منذ ثلاثين سنة رجل فضل واسع وعلم راسخ تعدَّدت آثارهما بعد ان تخرَّج سيادتهُ في مدرستنا في غزير فتفرَّغ للتعليم وللكتابة في كليتنا ثم صنَّف المصنَّفات المستجادة وعُهد اليه تدبير الدارس . فلا عجب أنْ قدَّر الكرسي الرسولي كل هذه المآثر فاجازعا بالمنصب الرفيع الذي دُعي اليه . وتغريب سيادته لكتاب الفلسفة النظريَّة للكردينال مرسيه هو من اجل خدمه المعلم . وقد وصفنا سابقاً القسمين الاوَّلين . وفي يدنا القسمان التابعان ومدارهما على علم اليقين وعلم النفس . وفي كليهما من الابحاث العامَّة والخاصَّة ما يترق الى معرفته الذين لا يقنعون بظواهر القشور ويتعمَّقون في جواهر الامور لئلَّا يصبحوا لعبةً في ايدي السوفسطائيين الذين شوَّهوا بتمويهاتهم وجه الحق . وقد امتاز الكردينال مرسيه بدرس المذاهب الفلسفيَّة المستحدثة والتمييز بين غثها وسمينها . ولم يكتف سيادة المعرَّب بضبط ترجمة الاصل لكنَّهُ علَّق ايضاً عليه الحواشي المفيدة

وذيّلهُ بالملحوظات المهمّة . فتحضّ اهل بلادنا على درس هذا التأليف وتدريسهِ لانهُ جمّ الفائدة خصوصاً كتاب علم النفس الغنيّ بالمسائل العصريّة التي يخبط فيها كثيرون ممّن لم يعرفوا حقيقتها ل . ش

شذرات

نحن والتقليد قالى ابن المصير سُرَّ قرّاؤنا بنظم الاديب الياس افندي مسابكي الذي نشرناهُ في احد الاعداد السابقة عن الغلاء وسوء الحال . وهاهوذا اتحفنا بمثل آخر من اقوالهِ في اللغة العاميّة عن تقليد اهل بلادنا للاجانب :

اصغوا لي ذوي الافكارْ لتحكي بالحريّهْ التقليد عمّ الاقطارْ وصرنا بحاله فقريّهْ

١ التقليد عمّ الاقطارْ خصوصاً عنّا بوسط الشامْ
حتى بالمدارس صارْ التقليد ماشي تمامْ
صاروا يلبسوا الصغارْ آخر طرز يا سلامْ
بدلة كحليْ وفيها زوارْ كل زر بستين مصريّهْ

٢ عل خصر لازم زنّارْ من الجلد آخر موضهْ
وبرنيطة قش بكتارْ شريطه عليها محطوطهْ
وقبّه مكويّه على النارْ وقطة رقبه مربوطهْ
ويحكو حكم الجزّارْ ليلبسوهم بسويّهْ

٣ متى ما صارو شبابْ تشوف الاغلب طفرانينْ
الربع يشتغلو كتّابْ والبقايا بطّالينْ
وان حاكيتهم بالصوابْ يقولوا عنّا خرفانينْ
ينسوا الصرف والاعرابْ ويحكوا بلغه فرنجيّهْ

٤ المستخدم باربع ليراتْ يلبس مراته حريرْ
يشتري من الخيراتْ الذراع بليره باتقديرْ
يقلد البكاواتْ حتى الباشا والوزيرْ
وان قصّر تقول لهُ هاتْ لي بسعر الافنديّهْ

٥ تقول له بدي اجيبه وبدّي اجيب لغراض السوق
وبدّي كورسه قصيره وفسطانين يكونوا عالذوق
وبدّي مشاط بتحجيره وبدّي حلق وبدّي طوق
يا ما تعمل الغيره هلكت ناس بعدّيه

٦ وخصوصاً لبس البنات ما عاد لحق الشغيل
البرنيطه باربع ليرات والفسطان من صوف تقيل
رادنكورت يا بابا هات بالبلد ما له مثيل
صار بدهم كمشة ليرات وما في منهم مصريه

٧ لاني يليق المصروف لو صرف الفين دينار
ايراده من جنس الصوف الفين باله قول اكثر
املاكه تُعَدّ الوف وحوانيته للايجار
تمن بايراده وشوف ما يصرف ربع المية

٨ والمحتاج يعطوه رحمات يعرفوه انه فقير
والمتوسط حاله مات ولحقه الافلاس والتكسير
ان قلّد البكاوات وان صرف مثل الامير
بعده لازمه ندّابات تندب حالته الحزينه

٩ انا انصحك يا بيك ان تبطّل التقليد
عاقد فراشك مدّ رجليك ساعتها تكون سعيد
معاشك يصير يكفيك وتشوف عمرك عمّا يزيد
وما في انسان يضاهيك وتميش عيشه هنيه

الرسالة الكاثوليكيّة في مادورة ذكرنا في رحلتنا الى الهند بالاجمال حالة الكنيسة الكاثوليكيّة في الهند . واليوم قد افادتنا احدى المجلّات الهنديّة انّ في اقليم مادورة وحده بلغ عدد الكاثوليك في آخر سنة ١٩١٢ ٢٦٠,٠٠٠ يعني بهم نحو مئة مرسل من الرهبانيّة اليسوعيّة التي دخلت في السنة الخامسة والسبعين منذ عهدت الرسالة الى عنايتها . ولهذه الرسالة مدرسة كبيرة اعظم من كليّتنا في بيروت عدد تلامذتها ٢٠٥٠ اثنت على رقيها الحكومة الانكليزيّة

مرارًا . ولها ٢٢٨ مدرسة ابتدائيَّة للذكور عدد تلامذتها الكاثوليك ٨٧٥١ والوثنيين ٥٢٦٣ والمسلمين ٢١٨ والبروتستانت ٢٥ . ثم سبعة مدارس ثانويَّة للذكور ايضاً يتلقَّى فيها العلوم ٦٠١ كاثوليكيّ و٧٢٣ وثنيًا . ولها ٤٠ مدرسة ابتدائيَّة للاناث بينهنَّ ٢٨٥٨ كاثوليكيَّة و٥٧٥ وثنيَّة و٢٨ مسلمة وسبع مدارس ثانويَّة تحضر دروسها ٥٤٥ كاثوليكيَّة و ٢١٨ وثنيَّة . وللرسالات مطبعة للغات الهنديَّة ومرصد فلكيّ . ومن اجل اعمال الرسالة عناية المرسلين بتبشير البراهمة . والكاثوليك وحدهم امكنهم حتَّى الآن ان يغلبوا تعصُّب البراهمة فنصَّروا منهم عددًا صالحًا رجالًا ونساء

تجارة الولايات المتَّحدة بلغت تجارة الولايات المتَّحدة في العام الماضي مبلغًا عجيبًا فكانت صادراتها الى الخارج اثني عشر مليارًا من الفرنكات وواردتها ثمانية مليارات بزيادة اربعة مليارات في الصادرات . والأمل انَّ هذه الحركة التجاريَّة تزيد كثيرًا في العام الجديد لاسيما عند انجاز الاميركان لترعة بناما وقد اتَّفقوا على تدشينها في ٢٥ ايلول من السنة الجارية وفيه تذكار المئة الرابعة لاكتشاف الاسبان لاوقيانوس الهادي — ومما يدلّ على تقدّم الولايات المتحدة نموّ اساطيلهم البحريَّة ولمَّا جرى في العام المنصرم معرض السفن الحربيَّة الاميركيَّة كان عددها بين كبيرة وصغيرة ومدرَّعات الدردنوط والغوَّاصات ١٢٣ سفينة وبحَّارتها ٢٦٠٠٠ تحت نظارة الف ضابط

فائدة في القصَّاد الرسوليين في سوريَّة لمَّا سبقنا وكتبنا مقالتنا عن القصادة الرسوليَّة في سوريَّة المشرق ١٢ (١٩٠٩) : ١٢) ذكرنا بين قصَّادها المؤقتين الاب داسيداريوس رئيس الاراضي المقدَّسة الذي اوفده الكرسيّ الرسولي لبتّ الحكم في قضيَّة صور القديس مارون . وقد افادنا حضرة القس لويس بليبل اللبناني في مجلَّة كوكب البرّيَّة أنهُ اكتشف منشورًا في دير مار الياس شرايا لمجمع عقد في ١٠ نيسان سنة ١٧٤٧ بحضور الاب داسيداريوس المذكور بصفة قاصد رسولي والسيّد البطريرك سمعان عوَّاد تأيَّدت فيهِ ثلاث قضايا اوَّلها ثبوت المطارين في رعاياهم . وثانيها المحافظة على الرتب الكنائسيَّة بلا تغيير . ثالثها تفويض السيّد البطريرك باختيار اي وكيل اراد لهُ . والمنشور مصادق عليهِ من تسعة اساقفة

﴿ الصلحون السوريون ﴾ وما ادراك من هم ؟ اصحاب جريدة المهذّب المتسمية الى برلس افندي الكنوري المحروم وكل من كان على شاكلتهم ممّن نسوا الخشبة المعترضة في عيونهم ليروا القذى في عيون ارباب الكنيسة فبلعوا الجمل وصفّوا من البعوضة وهم لا يزالون يصرخون « الاصلاح الاصلاح » على شرط ان لا يعالج سقمهم طبيب . ومن جملتهم معرّب مقالة النهضة الاصلاحيّة اسعد افندي صابات الدمشقي الذي ابى اكليروس طائفته الفضلاء ان يوافقوهُ في مخالفة سنن البيعة فظنّ انهُ ينتقم منهم بتعريب مقالة لاحد اعداء الدين في الاضاليل العصريّة او الموديرنيسم ويا ليتهُ عرّب شيئاً حديثاً لكنّهُ اخذ مقالة كُتبت منذ خمس سنوات اذ كان وطيس الجدال حامياً وهو اليوم قد خمد بعد ان فازت الكنيسة بالنصر على خصومها كما ألوف عادتها فجاء تعريب اسعد صابات « كالخردل في آخر الغداء » كما يقول الفرنج اعني في غير وقتهِ بعد ان كسر حكمُ الكرسيّ الرسولي نخوة بعض المتمرّدين الذين ذهبت مساعيهم ادراج الرياح والكنيسة في عزّها ورقيها الدائم تسخر من قرّات الجحيم وفشل معاديها . فخطئتَ الحفرة يا اسعد افندي !

﴿ الدروس العليا في كليّتنا ﴾ لمّا أنشئت كليّة القديس يوسف في بيروت سنة ١٨٧٤ لم يكن فيها من العلوم العليا سوى اللاهوت والفلسفة فنالت من مكارم الحبر الاعظم لاون الثالث عشر الرخصة بمنح شهادتي المأذونيّة والملفنة فيهما لمستحقيهما . وفي السنة ١٨٨٣ انتدبت الوزارة الفرنسويّة رؤساء رسالتنا الى انشاء مكتب طبي كفرع يلحق بالكليّة (راجع تاريخهُ في المشرق ١٩٠٨ (١١ : ٣٤١ — ٣٥٤) ولا يخفى ما نالهُ من الامتيازات من فضل الدولة العليّة والدولة الفرنسويّة معاً . ثمّ تكرّمت الحكومة الفرنساويّة على الكليّة بان رخّصت لها بمنح شهادة البكالوريا لمن اتمّوا دروسهم الثانويّة فيها ونجحوا في الامتحانات الكتابيّة والشفهيّة المفروضة عليهم . وفي السنة ١٩٠٣ أُلحق بالكليّة فرع آخر وهو المكتب الشرقي لدرس الآداب الشرقيّة الخاصّة . ولهذا المكتب نشرةٌ علميّة ظهر منها الى الآن سبعة مجلّدات ضخمة . وفي المدّة الاخيرة قد نالت كليّتنا انماماً جديداً لتوسيع نطاق دروسها العليا نزيد بهِ انشاء مكتبين مهمّين واحد للحقوق وآخر للهندسة يكونان تحت نظارة كليّة ليون الفرنساويّة فاصبحت بهما كليّتنا جامعة لفروع العلوم العالية

أسئلة وأجوبة

س كتب من الخرطوم حضرة القس يوسف غبريل الشابي. ما حرفهُ : « طالما البابا هو رئيس الكنيسة شرقًا وغربًا لماذا لا يدخل في انتخابهِ آباء شرقيُّون . ثمَّ لماذا لا يُنتخَب كرادلة من الشرقيين

الشرقيُّون في انتخاب الباباوات وفي مصفّ الكرادلة

ج لا مانع البتة من ان يشارك الآباء الشرقيُّون اخوتهم الغربيين في انتخاب رؤساء الكنيسة الاعظمين وانما ذلك مقيَّد بقوانين وشروط قلَّما يقوم بها اهل الشرق وذلك خصوصاً قلَّة الكاثوليك الشرقيين فانَّهم بالنسبة الى عدد الغربيين كنسبة الواحد الى الثمانية . ومعلوم ان عدد الكرادلة لا يتجاوز السبعين . فان كثر يوماً عدد الشرقيين بارتداد المسكوب والروم جاز ان ينتخب بعض من الشرقيين للمنصب الكردينالي واذا ما نال احدهم اغلبيَّة الاصوات صار حبرًا اعظم . ولا يُخفى انَّهُ وجد في القرون الكنيسة الاولى الى القرن التاسع عدَّة باباوات شرقيين بينهم يونان وسوريُّون كتب عنهم فصولًا المرحوم الاب اوربّاط في مجلَّة الكنيسة الكاثوليكيَّة . وقد ذكر المشرق في مقالتهِ عن رسول الاتحاد بين الكنيستين اي بسَّاريون انَّ هذا المطربليت اليوناني ورصيفهُ ايزيدور رئيس اساقفة كياف المسكوبي وُقيا الى رتبة الكرادلة . وكاد ينال بسَّاريون في احد الانتخابات عدد الاصوات القانوني البابويَّة ومَن رقي في زماننا الى مقام الكرادلة غبطة بطريرك الارمن انطون حسُّون سنة ١٨٨٠

س وسأل من دمشق جناب سابا افندي مخائيل سيوفي لماذا يمتاز البطريرك الانطاكي الملكي عن البطريرك الانطاكي الماروني وعن البطريرك الانطاكي السرياني

امتياز بطاركة انطاكية

ج ان كتاب نظام الكنيسة الكاثوليكيَّة (Gerarchia Cattolica) الذي يُطبع كل سنة في رومية لا يجعل امتيازًا بين بطاركة انطاكية وانما ينظمهم على حسب زمن انتخابهم . امَّا تاريخيًّا فالبطاركة الملكيُّون اقدم من الجميع كما هو معلوم اذ كانوا قبل تفرُّع الطوائف وانقسامها في القرن الخامس